سلسلة

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

((١))

تفسير

سورة الفاتحة

محاضرات تفسيرية في الصحن الحسيني الشريف

لسماحة العلامة السيد فاضل الموسوي الجابري

بقلم

السيد جاسم آلبوحمد الموسوي

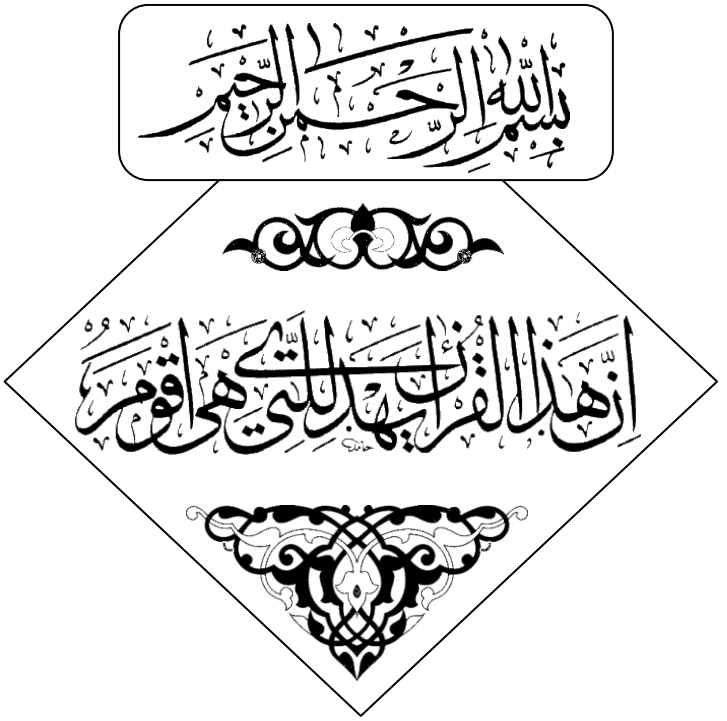
بسم الله الرحمن الرحيم
إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

مقدمة

سماحة الأستاذ العلامة
السيد فاضل الموسوي الجابري

الحمد لله الذي وصف نفسه في القرآن فقال : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ** الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[1]، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الذي نعته في كتابه فقال : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2]، وعلى آله الذين أنزل فيهم قوله: ﴿...إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، وسلم عليهم تسليما كثيرا.

وبعد ...

لا يشك أحدٌ ممن آتاه اللهُ الحكمةَ والمسكة، والعقل والفكرة، والإيمان والفطرة، ما للقرآن الكريم، من شموخ المعاني، وحلاوة الالفاظ. فهو منظومة متكاملة مادة وصورة، وشكلا ومضمونا، فيه بيان كل شيء يحتاجه الإنسان

---

(١) الفرقان: ١-٢ .

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

على وجه كلي. قال تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[1]. لا سيما فيما يرتبط بالهداية ، والسعادة في الدارين والوصول إلى الغاية ، صلاح الدنيا ونجاح الآخرة. ولهذا نشاهد القرآن يؤكد على ان البشرية لو طبقت تعاليم ما أنزل الله اليهم سواء في أمم سابقة كاليهود والنصارى أو أمة نبينا الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله) لوصلوا إلى السعادة والرفاهية ، والكمالات السرمدية ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[2].

والقرآن الكريم الذي هو كلام ربّ العالمين ، لا شك بأنه يحتاج إلى تفسير وتبيين ، وكشف معانيه النوريه، إما من خلال القرآن بالقرآن ، أو من خلال أحاديث وأخبار عدل القرآن، وهم محمد وآل محمد، مع توضيح المبهم من الكلام، وإزاحة الستر عن الغوامض والإبهام. ولا ريب ان ذلك من وظيفة أهل التخصص في التفسير، ومَنْ قضوا أعمارهم في دراسة الكتاب المجيد. وإلا فإن القرآن ليس مرمى لكل رام، وليس منهلاً لكل وارد، ولا مطمعاً لكل طامع. ومهما بلغ الإنسان في سعيه، واستفاد مما أعطاه الله من علمه، وأفاض عليه من فيضه، فانه لن يبلغ إلا القليل، مما لا يروي الغليل ولا يشفي العليل؛ لأن فهم القرآن كله وأجمعه مودع عند أهله المعصومين محمد وآله الطاهرين، فهم الراسخون في العلم، وهم أهل الذكر، ومن نزل القرآن في بيوتهم.

---

(١) الانعام: ٣٨.

(٢) المائدة: ٦٦.

ولذا فما نقوله من الكلام ما هو إلا نقطة في بحر كتاب الله ، وما نرويه من البيان ما هو إلا حديث يسير ومعارف فقيرة، لاذت بآيات كتاب الله ، واتكأت على أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونهلت من معين آل الله (عليهم السلام)، فكملت وتمت، ثم أزهرت وأثمرت . وهذا حال كل من جالس القرآن وأصغى إليه بقلبه وروحه وعقله، كما أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: ((وَ اِعْلَمُوا أَنَّ هَذَا اَلْقُرْآنَ هُوَ اَلنَّاصِحُ اَلَّذِي لاَ يَغُشُّ وَ اَلْهَادِي اَلَّذِي لاَ يُضِلُّ وَ اَلْمُحَدِّثُ اَلَّذِي لاَ يَكْذِبُ وَ مَا جَالَسَ هَذَا اَلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَام عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أو نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أو نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى وَ اِعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ اَلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَ لاَ لِأَحَدٍ قَبْلَ اَلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى))[1].

وكان من ألطاف الله تعالى علينا أن وفقنا للإنتهال من معين كتابه الذي لا ينضب، ونوره الذي لا يخبو، سنين عديدة ، ومدة مديدة ، وعلى أيدي أساتذة كرام، وعلماء أعلام، مضافاً إلى التفكّر والتدبر، والبحث والسبر، ففتح الله لنا مغاليق أسرار كتابه، وأنار أبصارنا بالنظر في آياته و أسبابه ، فسعينا بخطى حثيثة وسريعة، وبتحقيقات جادة ودقيقة ، تحدونا الآمال الكبيرة، والهمة العالية ، باذلين الجهد الجهيد، في فهم كتاب الله المجيد ، وكشف بعض معارفه وعلومه ، ولطائف آياته وختومه .

ومن ألطافه تعالى ومننه التي أسبغها علينا أيضاً، أن وفقنا في إلقاء محاضرات في تفسير القرآن في حرم سيد الشهداء، أبي الأحرار، ورمز الإباء، أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) ، بحضور جمع غفير من المؤمنين من وزوّار الإمام (عليه السلام) الذين جاءوا من كل البقاع ، وهم من جميع الطبقات ، فكانت الأنوار الحسينية تحيط بنا من كل مكان ، وأرواح الأنبياء والأولياء تفصح منا اللسان ،

---

(١) نهج البلاغة، خطب الامام علي : ج٢،ص٩١.

وأفواج الملائكة التي تطوف في قبر المولى تفصح منا البيان . ويكفي المرء أن يلقي كلامه في محضر سيد الشهداء (عليه السلام)، ويستمع اليه الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء ، وهم يشهدون مقامه ويسمعون كلامه .

وقد توخينا في هذه المحاضرات القرآنية العمق والدقة العلمية من جهة، والسعة والتفصيل من جهة ثانية، وسلاسة الخطاب من جهة ثالثة. وربطها بحاضر الإنسان ومستقبله وما يتطلع اليه ويبغيه في صلاح دينه ودنياه، كل ذلك بلغة علمية رصينة ، وطريقة فنية جميلة ، وما هذا إلا ببركة أنفاس سيدي ومولاي الحسين بن علي (عليهما السلام) .

وهذه الأوراق التي بين يدي القارئ الكريم ما هي إلا جانب من نشاطاتنا في تفسير القرآن الكريم في العتبة الحسينية المطهرة، وهي باكورة محاضراتنا التفسيرية لكتاب الله تعالى، المتمثلة في تفسير أول سورة من سور القرآن – أعني سورة الفاتحة –، وقد قام أخونا العزيز سماحة الخطيب الحسيني والباحث الإسلامي السيد جاسم آلبو حمد الموسوي (زاده الله نوراً) بالإهتمام بها تحقيقاً وتنقيحاً وتهذيبا، فصاغها صياغة الصائغ بحلة جميلة ورائعة، وبما يتناسب مع الثقافة العامة والخاصة.

فأشكر له هذا الجهد العلمي المبارك، وأسال الله تعالى أن يجعله من أعلام هذه الأمة، وأن يجعل جهده هذا في ميزان أعماله إنه ولي حميد.

السيد فاضل الموسوي الجابري
١٠ / ربيع الثاني / ١٤٣٦ هـ
النجف الأشرف

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، اَلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ اَلْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاِسْتَعْبَدَ اَلْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ اَلْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ...))[1]. ثم الصلاة والسلام على سيد الأنام، ورسول الإسلام، محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آل بيته أمراء الكلام، وأئمة الدين الكرام (عليه وعليهم السلام).

وبعد...

لا يخفى على أحد أن القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المرسل محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، وهو الدستور الأول، والمصدر الأساس، لأحكام الله وشريعة الإسلام الحنيف. ومن غير الإنصاف أن يُتركَ بلا تلاوة، أو يُهجَرَ بلا تطبيق وفيه سعادة الإنسانية ! . قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾[2]، في الوقت الذي نجد القرآن والسنة الشريفة تدعونا إلى إحياء كتاب الله تعالى من خلال قراءته والأخذ به قولاً وعملاً، قال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ**

---

(١) نهج البلاغة،خطب الامام علي : ج١،ص١٥٨.

(٢) الإسراء:٩ .

﴿الْقُرْآنَ ام عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١]، وقال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته المشهورة حين نزل به الموت: ((اَللَّهَ اَللَّهَ فِي اَلْقُرْآنِ فلاَ يَسْبِقُكُمْ إلى الْعَمَلِ بِهِ أحدٌ غَيْرَكُمْ...))[٢].

ومن المعلوم ان للقرآن ظاهراً وباطناً [٣]، فالظاهر منه ما يفهمه كل من له حصيلة من العلم، وشيئاً من الفهم، وأما باطنه فهو عميق ودقيق ، وهذا ما كان فهمه مقصوراً على أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم صلوات ربي وبركاته) لأنهم أهلُ الذكر، وهم الراسخون في العلم كما ورد ذلك على لسانهم[٤]، ومن نزل الوحي في بيوتهم. ولكن هذا لم يكن حاجزاً أو مانعاً من محاولة فهم آيات كتاب الله وأحكامه ومعارفه، خصوصاً مع وجود الدعوة إلى قراءته وتلاوته والتدبر في آياته كما ورد في الآيات والروايات. نعم إن هذا لا يتأتّى لأي أحد، بل هو لمن كان على بصيرة من دينه، ومن عنده العلم والفهم والمعرفة في فهم كتاب الله تعالى، ومن له دراية في علوم القرآن وأحكامه ، مضافاً إلى إعتماده منهجاً علمياً صحيحاً في التفسير أو التأويل. وهذا ما وجدناه في كثير من الأعلام، وجهابذة الشريعة الغراء، خصوصاً من انتسب منهم إلى المذهب الحق، والصراط القويم ، محمد وآل محمد (صلى الله عليهم أجمعين) ، حيث أنهم كانوا على دراية عالية، وفهم صحيح، وعلم واسع في كتاب الله ، وهذا ما يلمسه كل من طالع كتبهم التفسيرية التي أغنت وأثرت

---

(١) محمد : ٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٢،ص٢٤٩.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج١،ص٧.

(٤) جامع أحاديث الشيعة: ج١، ص١٨،١٨٠. الكافي ، للكليني: ج١، ص٢١٣.

رصيدنا الثقافي والعلمي في الماضي والحاضر، منهم على سبيل المثال الشيخ الطوسي والطبرسي والعلامة الطباطبائي وغيرهم الكثير من السلف والخلف (أعزهم الله وأعلى مقامهم دنياً وآخرة). وممن سار على خطى الأفذاذ، واقتفى أثر الأصحاب سماحة العلامة السيد فاضل الموسوي الجابري ، حيث وجدناه مفسّراً عالماً ، انتهل من منهل عذب، وورد العلم من ماء فرات؛ وكيف لا يكون هكذا وهو يرتشف من مدرسة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ليله ونهاره ، وفي حله وترحاله.

وما هذه الأوراق الكريمة إلا شاهداً على ما نقول، ودليلاً لما ذكرنا، فإنها عبارة عن مجموعة متسلسلة من محاضرات التفسير ألقاها سماحته في حرم الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقد بدأ باكورة هذه المحاضرات بتفسير أول سور القرآن الكريم وهي أم الكتاب (الفاتحة) إيماناً منه بعظمتها وعلو مقامها وشرفها كما جاء هذا في مجموعة من الأخبار التي أشرنا إليها في طيات هذا التفسير.

ولقد جاءت هذه المحاضرات رائعة في مادتها وصياغتها، لما حوته من جواهر التفسير، ونكات التعبير، وما اشتملت عليه من كثرة العلوم والمعارف وتنوع الإشارات التي هي بغية كل عالم وهدف كل طالب. وقد شرّفنا سماحته بمراجعتها وترتيبها وتحقيقها ثم إخراجها بهيئة كتاب يستفيد منه الدارسون والمؤمنون .

ولقد قسمناها – أي هذه المحاضرات – إلى فصلين رئيسيين وتحت كل فصل مجموعة من المباحث والنقاط، تعددت في عناوينها ومطالبها، وقد اشتملت على إثارات علمية، ومفاهيم عالية المضامين بلغة سلسة وواضحة.

طريقتنا في التحقيق

لقد إعتمدنا طريقة دقيقة في تحقيق وتهذيب هذه المحاضرات – كما هي عادتنا في التحقيق – يمكن أن نجملها بما يلي:

أولاً: مراجعة نص المحاضرة وما ذكره سماحة المؤلف في دفتره (المسودة) بشكل دقيق .

ثانياً: تصحيح المفردات وتهذيبها ثم صياغتها صياغة سلسة وفنية لا تخرجها عن علميتها.

ثالثاً: تتبع المعلومة والمفردة التفسيرية من خلال مطابقتها وإنسجامها لضوابط التفسير والأصول الثابتة وما معهود في مدرسة أهل بيت العصمة والطهارة.

رابعاً: مراجعة الآيات والروايات بشكل خاص وتدقيقها ثم إرجاعها إلى مصدرها الأصلي أو الفرعي.

خامساً: ضبط النصوص المنقولة من كتب التأليف الأخرى ، وإخراج مصادر كل معلومة أو مفردة تاريخية وتفسيرية أو غيرهما .

سادساً: صياغة العناوين الرئيسة والفرعية بما يناسب موضوعها وتبويبها تبويباً واضحاً بيّناً. مضافاً إلى إعادة صياغة الكلام بشكل عام بما يناسب إعدادها ككتاب، الأمر الذي يتطلب منّا تغيير العبارة أو المفردة أو إضافة شيء من البحوث والنقاط المتممة للموضوع ولكن بما لا يخرجها عن هدفها وموضوعها العلمي الذي يقصده المؤلف.

وفي الختام أبتهل إلى الله تعالى بأن يتقبل منّي هذا الجهد القليل ويجعله ذخراً لي ولوالديَّ يوم اللقاء ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ** إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1].

السيد جاسم آلبوحمد الموسوي

١٤ ربيع الثاني ١٤٣٦ هـ

النجف الأشرف

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

الفصل الأول: مباحث تمهيدية

المبحث الأول:

ضرورة التدبر في القرآن ومعرفة تفسيره

المبحث الثاني:

تقييم الواقع الخارجي بميزان القارئ المتدبر

المبحث الثالث:

محورية القرآن بين الله تعالى والإنسان

المبحث الرابع:

أهمية معرفة السياق القرآني

المبحث الخامس:

في الفرق بين التفسير والتأويل

المبحث السادس:

في بيان عظمة سورة الحمد وفيه خمسة مطالب

المبحث الأول

ضرورة التدبر في القرآن ومعرفة تفسيره

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

وقبل الدخول في بيان وتفسير آيات الذكر الحكيم من القرآن الكريم- خصوصاً ما يرتبط بسورة الحمد موضوعة التفسير- ومعرفة ما يراد منها من معان ومفاهيم خاصة أو عامة، لابد لنا من ذكر مجموعة من المباحث التي لها من الأهمية والفائدة في موضوع التفسير بشكل عام.

المطلب الأول: التدبر في القرآن في ضوء القرآن

ورد الحث والتأكيد على قراءة القران الكريم بتدبر وإمعان من خلال نفس كتاب الله المنزل كما في بعض الآيات القرآنية الصريحة كقوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ام عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[1]، وكقوله تعالى ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾[2].

والملاحظ هنا أنه تعالى أشار إلى وجه الحكمة في مسألة التدبر من حيث أنها تقود القارئ إلى الإستفادة من آيات الله في كتابه المجيد سواء على صعيد الروح والنفس أو على صعيد الفكر والعقيدة وغير ذلك من الإشراقات القرآنية الجميلة.

---

(١) محمد: ٢٤.

(٢) النساء:٨٢.

يقول ابن عاشور في تفسيره معقّباً على الآية الآنفة الذكر : (والتدبّر مشتقّ من الدُّبر، أي الظَّهر، اشتقّوا من الدُّبر فعلاً، فقالوا : تدبّر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته ، فهو من الأفعال التي اشتقّت من الأسماء الجامدة .

والتدبّر يتعدّى إلى المتأمَّل فيه بنفسه، يقال : تدبّر الأمر . فمعنى (يتدبَّرون القرآن) يتأمّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين : **أحدهما:** أن يتأمّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين ، أي تدبّر تفاصيله؛ **وثانيهما:** أن يتأمّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله ، وأنّ الذي جاء به صادق . وسياق هذه الآيات يرجّح حمل التدبُّر هنا على المعنى الأول، أي لو تأمّلوا وتدبّروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم ، ولَما بَقُوا على فتنتهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام . وكلا المعنيين صالح بحالهم ، إلاّ أنّ المعنى الأول أشدّ ارتباطاً بما حكي عنهم من أحوالهم[1].

وقد ذكر صاحب تفسير الأمثل نكتة لطيفة في الفرق بن التفكر والتدبر بقوله: والتّدبر من مادة «دبر» وهو مؤخر الشيء وعاقبته «والتدبر» المطلوب في هذه الآية هو البحث عن نتائج آثار الشيء، والفرق بين التدبر والتفكر هو أنّ الأخير يعني التحقيق في علل وخصائص الموجود، أمّا التدبر فهو التحقيق في نتائجه وآثاره [2].

---

(١) التحرير والتنوير : ج٣ ص٤٨٣ .

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٣ ص ٣٤٥.

المطلب الثاني : التدبر في القرآن في ضوء السنة الشريفة.

و لم يقتصر الحث على التدبر والتأمل في كتاب الله العزيز بلحاظ الآيات الشريفة، بل ورد الحث على قراءة كتاب الله العزيز بتدبر معانيه والتفكر في مقاصده وأهدافه في السنة الصحيحة الشريفة، فقد روت ذلك المجامع الحديثية من صحاح المسلمين وكتبهم المختلفة وبشكل بلغ حدّ إلاستفاضة والتأكيد على هذا المطلب.

وإليك مجموعة منها:

الأول: ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : ((أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)) [١].

الثاني: وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال :((حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله (صلى الله عليه وآله)عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل)) [٢].

الثالث: وعن عثمان وابن مسعود وأبي : ((ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً)) [٣].

الرابع: وروي[٤] : ((أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم – أي قال عنه انه عالم- فقال له رجل : جعلت فداءك

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ج١ ص ١٤.

(٢) المصدر السابق .

(٣) تفسير القرطبي: ج١ ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق: ص ٥٩ .

تصف جابراً بالعلم وأنت أنت فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾)) [١].

وهنا تلاحظ ان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يجعل المقياس في كون الشخص عالماً هو معرفته في تفسير القران ولو بآية واحدة منه.

الخامس: في الكافي بإسناده عن الزهري . قال : سمعت علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول : ((آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر ما فيها)) [٢].

وقد علّق السيد الخوئي (قدس سره) على ضرورة التدبر في كتاب الله تعالى بقوله: أن ذلك لا يحتاج إلى تتبع أخبار وآثار، فإن القرآن هو الكتاب الذي أنزله الله نظاما يقتدي الناس به في دنياهم ، ويستضيئون بنوره في سلوكهم إلى أخراهم وهذه النتائج لا تحصل إلا بالتدبر فيه والتفكر في معانيه، وهذا أمر يحكم به العقل، وكل ما ورد من ألاحاديث أو من الآيات في فضل التدبر فهي ترشد اليه [٣].

وبعبارة أخرى نقول: ان العقل بعد إدراك أن هذا الكتاب إنما أنزل من قبل الله تعالى لكي يكون مصدر هداية ومنهج حياة وطريق آخر، فمن اللازم أن يحكم بوجوب معرفته، وبما أن التدبر مقدمة المعرفة فتكون واجبة لوجوب ذي المقدمة.

---

(١) القصص: ٨٥.

(٢) الكافي : ٢ج ص٨٢٠ ،كتاب فضل القران.

(٣) البيان في تفسير القران: ص١٥.

المطلب الثالث: شرائط وضوابط القارئ المتدبر

وبعد ما تقدم من إلاشارة في مفهوم التدبر القرآني، يمكن لنا بيان أهم الشرائط والضوابط التي ينبغي توفرها للقارئ المتدبر والتي بواسطتها يمكن أن يحصد ثمار قراءته وتلاوته لآيات كتاب الله العزيز. وهي على مستويين لا على سبيل الحصر بل على سبيل الأهمية والأولوية:

الأول: المستوى الروحي والنفسي.

إن جلّ ما في القران الكريم يناغم روح الإنسان المسلم ونفسه، وهو حديث ينفذ إلى أعماق هذه الروح فتستأنس بحديثه وتنساق إلى معانيه. ولكن من المعلوم إن هذه القوة القرآنية – والتي هي من الخصائص القويمة لكتاب الله، كما ورد ذلك في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَ تَعَلَّمُوا اَلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ اَلْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ اَلْقُلُوبِ، وَاِسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ اَلصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ اَلْقَصَصِ، وَإِنَّ اَلْعَالِمَ اَلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ اَلْحَائِرِ اَلَّذِي لاَ يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ اَلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَ اَلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ وَ هُوَ عِنْدَ اَللَّهِ أَلْوَمُ))[1] – لا يمكن أن تؤثر أثرها في نفس القارئ المتدبر إلا من خلال وصول النفس والروح إلى مرحلة تؤهلها وتمكنها من الإستفادة من حقائق القرآن وأنواره المعرفية المتنوعة. ولهذا جاء التأكيد على إيجاد الجو والمناخ الروحي لقارئ القرآن وذلك بتهذيب نفسه وتنظيفها من المعاصي والقبائح، فإن الأرض غير الصالحة للزراعة لا يفيدها الربيع ولا يؤثر فيها لأنها فاقدة للعطاء ، وهكذا النفس والروح فما لم تكن صالحة ومؤهلة لنور القرآن لا يمكنها الإستفادة من نوره ومعارفه.

---

(١) نهج البلاغة ،خطب الامام علي : ج١،ص ٢١٦.

ولهذا نرى الأتقياء والأولياء يزدادون آناً آن من نور القرآن بقدر ما لهم من صفاء روحي وطهارة عالية، وهذا عامل أساس من وراء الاستئناس بحديث القرآن وتلاوته، وهذا ما أشار له أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وهو يصف المتقين بقوله : (أَمَّا اَللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ اَلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَ يَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإذا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَ تَطَّلَعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَ ظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَ إذا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَ ظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ...)[1].

ومضافاً إلى شرطية طهارة النفس وتهذيبها في نفس القارئ المتدبر، لابد من الالتفات إلى كون القرآن وآياته الشريفة ليست من كلام البشر الذي يتساهل الإنسان بعدم الإلتزام به أو الإعراض عنه ، بل هو خطاب موجه إلينا من الرب العظيم.

لاحظ كيف يبين لنا الإمام الصادق (عليه السلام) ما ينبغي أن يكون عليه قارئ القرآن من الحضور والتأمل والإتعاض وو... حيث يقول (عليه السلام): ((من قرأ القرآن و لم يخضع له و لم يرق عليه و لم ينشئ حزنا ووجلا في سره فقد استهان بعظم شأن الله ، وخسر خسرانا مبينا، فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال. فإذا أخشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم، وإذا فرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة، فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده ، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين استأنست روحه وسره بالله ، ووجد

(١) المصدر السابق :ج٧،ص١٦١.

حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين ، وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأسا من هذا الشراب فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة ، لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة. فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه ، وكيف تمتثل حدوده، فانه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا، وقف عند وعده ووعيده ،وتفكر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده.))[1].

فإذا توفرت هذه الصفات العالية في نفس القارئ المتدبر حينئذ يحصل على لذيذ مناجاته لله تعالى، ويستفيد من تلاوته للقرآن الكريم ويحصد ثمارها في نفسه وروحه وعقله وفي حياته وبعد مماته.

روي أن الإمام الصادق (عليه السلام) سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه، فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال : ((ما زلت أردد الآية على قلبي وعلى سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته))[2].

الثاني: المستوى العقلي .

إن من أهم الضوابط والشرائط المؤدية إلى حسن التدبر القرآني والإستفادة من هدى الفرقان هو سلامة العقل وخلوصه من كل شبهة وضلال، مضافاً إلى

---

(١) التفسير الصافي: ١ج ص٧٧.

(٢) المصدر السابق.

ضرورة التركيز والتأمل الواعي في استنطاق آيات الله وكلماته والدقة في قراءتها.

وهذا ما أكد عليه نفس القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أيضا، فقد ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[1]، ما عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: ورتل القران ترتيلا. قال: ((قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : بيّنه تبييناً ولا تهذه هذ [2]الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن فزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة))[3].

وكذا عن إمامنا الصادق (عليه السلام) : ((فرتله ترتيلا، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه ، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده)) [4].

تنبيه:

إن مما تجدر الإشارة إليه والتأكيد عليه في البين ضرورة الإذعان إلى كل حقيقة قرآنية ثابتة في كل حقل من حقول المعرفة، لأن القرآن حق وهو (يعلوا ولا يُعلى عليه) [5].

---

(١) المزّمل: ٤.

(٢) الهذ: الهذ السرعة في القرأة أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ولا تفرق كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كذرات الرمل، والمراد به الاقتصاد بين السرعة المفرطة والبطؤ المفرط. تفسير الصافي ١/٧٥.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦١٤.

(٤) مستدرك الوسائل:ج٤ ص٢٤١.

(٥) مستدرك سفينة البحار: ج١ ص٤١٦.

وعلى هذا الأساس يجب على القارئ المتدبر أن يقبل الحقيقة القرآنية على كل حال ولو كانت غير منسجمة مع ما عليه من عقيدة أو منهج أو سلوك أو رؤى أو سيرة عملية الخ...هو يتصورها صحيحة ، لأن عدم تصحيح ذلك استناداً لكتاب الله لازمه نفي الغرض من إنزال كتاب الله تعالى هادياً للأمة والإنسانية ، كما قال تعالى ﴿ **الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾[1].

وهذا ما أشار له مولانا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو يصف لنا قيمة هذا القرآن وضرورة الإنتهاء إلى حقائقه والأخذ بها في كل حقل من حقول المعرفة والحياة العامة، حيث يقول: ((وَ اِعْلَمُوا أَنَّ هَذَا اَلْقُرْآنَ هُوَ اَلنَّاصِحُ اَلَّذِي لاَ يَغُشُّ وَ اَلْهَادِي اَلَّذِي لاَ يُضِلُّ وَ اَلْمُحَدِّثُ اَلَّذِي لاَ يَكْذِبُ وَ مَا جَالَسَ هَذَا اَلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أو نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أو نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى وَ اِعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ اَلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَ لاَ لِأَحَدٍ قَبْلَ اَلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَ اِسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ اَلدَّاءِ وَ هُوَ اَلْكُفْرُ وَ اَلنِّفَاقُ وَ اَلْغَيُّ وَ اَلضَّلاَلُ فَاسْأَلُوا اَللَّهَ بِهِ وَ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَ لاَ تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ اَلْعِبَادُ إِلَى اَللَّهِ تعالى بِمِثْلِهِ وَ اِعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ اَلْقُرْآنُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَ مَنْ مَحَلَ بِهِ اَلْقُرْآنُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ اَلْقُرْآنِ

---

(١) ابراهيم: ١.

فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَ أَتْبَاعِهِ وَ اِسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اِسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ اِتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اِسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ...)) [1].

ولهذا نقول : من شجاعة القارئ المتدبر هو قبوله الحق وإن خالف هواه، بل إن قبوله للحق يكشف مدى تحرره من شهواته وأهوائه . ولهذا نأسف على الكثير من الناس- أعني قراء القرآن- حينما يقرأ القرآن مثلاً أو يتعرف على تفسير آية ما من كتاب الله ويطلع من خلال ذلك على خطأ فعله أو قوله أو عقيدته أو.. لا يذعن لهذه الحقيقة القرآنية ولا يغير ما عليه من خطأ أو فساد، إما مكابرة وعناداً ، أو أنه لا يملك الشجاعة في تحرير نفسه وعقله من قيود العقيدة التي يعتقدها، والواقع الفاسد الذي علق به إلى حدّ أفقده حريته وإرادته.

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٧٧.

المبحث الثاني

تقييم الواقع الخارجي بميزان القارئ المتدبر.

لقد مرّت الإشارة فيما تقدّم إلى ضرورة الإذعان إلى كل حقيقة قرآنية يتعرف عليها القارئ المتدبر، لأن هذا ما يتفق مع مرجعية القرآن الكريم ودستوريته في حياة الإنسان المسلم والمؤمن.

وهنا نقول: هناك جهة أخرى وزاوية ثانية لابد من أخذها بعين الإعتبار ونحن نتحدث عن قيمة كتاب الله تعالى، وهذه الزاوية هي عبارة عن تقييم الواقع الخارجي الذي يحيط بهذا الإنسان والمسلم بالذات، بمعنى لابد لي- كقارئ متدبر- من عرض هذا الواقع الخارجي الذي أعيش في ظله وفي كنفه بمختلف حالاته وتوجهاته، على كتاب الله ومعرفة قيمته وفقا لميزان القرآن واستناداً لقولهم عليهم السلام : ((لا تصدق علينا ، إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله))[1]. فمن الضروري جداً أن نتعرف على قيمة الواقع الخارجي والحياة العامة بمنظار كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) ، فما وافق الكتاب الكريم والسنة الطاهرة أخذنا به وسرنا عليه، وما

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٠٥،ح ٤٧.

خالفهما أو تقاطع معهما فلابد من تصحيحه والسعي لتغييره وفقا لما عليه الكتاب والسنة الصحيحة، وهذه نقطة مهمة حَرِيّةٌ بالتطبيق[1].

وخلاصة الكلام: تارة نستنطق كتاب الله ونتبين ما يرشدنا له ويدعونا اليه من معارف وحقائق فنأخذ بها، وأخرى نقيّم ما نحن عليه من واقع خارجي معاش بما وافق الكتاب والسنة الطاهرة فنأخذ به.

(١) لا ينبغي تقييد الحديث الشريف بصورة التقييم العلمي لحقول المعرفة وحسب، من قبيل تقييم الخبر أو الرواية أو الحادثة بعرضها على كتاب الله وسنة نبيه ، بل بمقتضى مفهوم المرجعية العامة لكتاب الله والسنة الطاهرة – بمفهومها العام كما عليه الإمامية– ينبغي تقييم كل شيء من حياتنا العامة على أساسهما،كما نوهت اليه الآية: ٧/ الحشر: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

المبحث الثالث

محورية القرآن بين الله تعالى والإنسان

من الظواهر القرآنية والمحاور الرئيسة من معالم كتاب الله تعالى أن معارفه القرآنية توزعت على محورين أساسيين، كانا نقطة الانطلاق والعودة بحيث تمركزت عليهما ومن خلالهما جلّ المعارف القرآنية.

وهذان المحوران هما (الله تعالى والإنسان) ، وأما سائر المعارف والحقائق الأخرى التي وردت في القرآن الكريم، فهي إما أنها تتعلق بالأسماء الحسنى لله تعالى ومظاهرها، وصفاته وأفعاله تعالى، أو أنها ترتبط بأفراد ومراتب الإنسان حول سيره التكاملي صعوداً ونزولاً، أي إما أنها درجات أو أنها دركات للإنسان، أو أنها واردة في شؤون عوالم الإنسان.

فالقرآن إذن يتمحور في أمرين أساسيين:

الأول: هو الله تعالى المُرسِل والمُنزِل ، وهو الحق الظاهر والباطن وما يرتبط به عز وجل من حقائق ومعان مُلكية ربانية و...

والثاني: هو الإنسان الذي أُنزِل له ولأجله القرآنُ وهو مظهر الحق ومحل تجليات الله تعالى.

وطبيعي أن يكون هذان المورد ان محوراً رئيسياً للقرآن الكريم، وذلك بمقتضى كون القرآن كتاب هداية ودستور نظام فمن الضروري أن يتمركز عند هدفين:

أولاً: عند تعريف الجهة المنزلة والمرسلة وما لها من خصائص وأسماء أوصفات كمالية جمالية أو سلبية جلالية ، قال تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[1].

وثانيا: مخاطبة مَنْ أنزل القرآنُ من أجله- وهو الإنسان - وتربيته وإعداده إعدادا صالحا يتحصّن من خلاله من كل المخاطر الفكرية والروحية والحياتية بشكل عام.

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ** وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2]. وقال أيضا، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا** فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾[3].

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) الاسراء: ٩-١٠.

(٣) النساء: ١٧٤-١٧٥.

المبحث الرابع
أهمية معرفة السياق القرآني

هناك الكثير من القواعد والأسس التي لها مدخلية كبيرة في فهم النص القرآني وتحديد معناه، كمعرفة الخاص والعام ، والمطلق والمقيد ، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من المفاهيم التي لها مدخلية في كشف وتوضيح المعنى المراد من الآية القرآنية.

ومن القواعد والقضايا المهمة أيضاً التي تساعدنا على فهم النص القرآني وتحديد معناه هي معرفة السياق الخاص والعام للآية الشريفة.

وللسياق تعاريف مختلفة تعرض لها العلماء في كتب التفسير وعلم أصول الفقه، منها ما ذكره السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) بقوله: (السياق : كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال أخرى، سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع)[1].

---

(١) المعالم الجديدة للأصول: ج١ ص ١١٩.

فمعرفة الجو المحيط بالاية من خلال القرائن اللفظية والحالية والمقامية يعطينا رؤية واضحة في تشخيص المعنى المقصود من الآية الشريفة.

وللسياق كذلك دور كبير في بيان الواقع العلمي للقرآن، لوجود الترابط الهادف بين آية وآية، ولا تتلاحق الآيات ولا الكلمات داخل آية واحدة إلا بإحدى علاقتين : علاقة علمية أو تربوية.

أولا: العلاقة العلمية : ونعني بها بيان وجه من الترابط العلمي بين مفهومين أوحقيقتين أو أكثر، كما في قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[1]، حيث تعكس الآية أن علاقة الإستغفار من الذنب مرتبطة بتوحيد الله تعالى، وان هذه العلاقة واقعية تفرضها حقيقة الربوبية من جهة والعبودية من جهة أخرى، إذ أن العقيدة بأحدية الله توجب العقيدة بعبودية الفرد له تعالى، ومن الواضح حينئذ خضوعه لله عزّ وجلّ.

وتماماً مثل هذه العلاقة موجودة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرض فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2]، فعلاقة عبادة الله بتوحيده أمر واقعي من جهة أن على العبد مسئوليةَ العبادة لله الواحد.

---

(١) محمد: ١٩.

(٢) يوسف: ١٠٩.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[1]، فهنا تعكس الآية جانبا من العلاقة والارتباط الواقعي بين المولى الذي يحب عباده فينزل عليهم الغيث، وبين الحميد الذي ينشر عليهم رحمته، فهناك علاقة وطيدة بين الولاية ونزول الغيث، وبين الحمد ونشر الرحمة.

تنبيه:

إن إكتشاف هذا الترابط والعلاقة القائمة بين حقيقتين يتضح لمن كان يعيش اللغة القرآنية والأدب القرآني ويفهم الذوق البلاغي لصياغة الآيات القرآنية الشريفة.

ولهذا كان البعض إذا سمع من أحد يقرأ القرآن بشكل غير صحيح يقطع عليه تلاوته ويقول له ان هذا لا يستقيم ،كما ورد في بعض الكتب.

قال الأصمعي : قرأت هذه الآية ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2]، وإلى جنبي أعرابي، فقلت : والله غفور رحيم ، سهوا ، فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ قلت : كلام الله . قال : أعد فأعدت : والله غفور رحيم ، فقال : ليس هذا كلام الله، فتنبهت ، فقلت : والله عزيز حكيم . فقال : أصبت ، هذا كلام الله . فقلت له : أتقرأ القرآن ؟ قال : لا . قلت : فمن أين علمت أني أخطأت ؟ فقال : يا هذا عزَّ فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع[3].

---

(١) الشورى: ٢٨.

(٢) المائدة:٣٨.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ج٢،ص ٢٧٤.

وكذلك العلاقة والترابط لا ينحصران ضمن الآية الواحدة فحسب، وإنما يتحققان أيضاً ضمن آيتين أو أكثر كما هو واضح، فلاحظ مثلاً الآيتين التاليتين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ** وَإِذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[1]، فعلاقة الآية الأولى بالثانية ناشئة من وجود إرتباط بين صفات المنافقين، فهم من جهة ينمّقون كلامهم ومن جهة أخرى يفسدون في الأرض.

ان القرآن يحدثنا عن نموذج من الناس ويذكر صفاتهم بشكل مترابط من حيث لا تنموا صفة فيهم دون صفة أخرى ، أي ان وجود صفة ما فيهم مدعاة إلى نمو صفة أخرى تتناسب مع الأولى قوة وضعفاً، كما في صفة ((الكبر)) التي يلازمها ((الجحود))، وصفة ((الحسد)) التي يلازمها ((الحقد والكراهية)) وغير ذلك من الصفات المترابطة فيما بينها.

ثانيا: العلاقة التربوية: ونعني بها بيان الترابط بين الصفات الإنسانية أي بين صفة وصفة أخرى يعيشان حالة من التأثير والتأثر بعضهما البعض نتيجة ظروف وملابسات متعددة، الأمر الذي يسجله القرآن الكريم مع بيان الموقف منه.

ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية وتربية للإنسان فمن الضروري دراسة الآيات التربوية لنكتسب علما بخبئية النفوس ومعرفة القوانين التربوية التي تتحكم فيها.

---

(١) البقرة: ٤-٥.

وكشاهد على ذلك قوله تعالى :﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

إن جمل هذه الآية ثلاثة: الأولى في الإنفاق، والثانية في النهي عن إلقاء النفس في التهلكة، والثالثة في الإحسان. وهنا نسأل عن وجه العلاقة بين هذه المقاطع الثلاثة ؟

والجواب: إن الله تعالى لما أمر بالإنفاق الذي هو خلاف ما جُبلت عليه النفس من حبها للمال والحرص على جمعه وتجميعه، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2]،كان هذا موجباً لقلق المُنفِق وخوفه من التقصير في أداء هذا الأمر، فجاءت الجملة الثانية شارحةً ومبينة عاقبة التخلف عن هذه الشعيرة، حيث ان التقصير إزائها سيعود عليهم بالخسران والهلكة :﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ وهو أعظم بلا شك من إنفاق شيء من أموالهم فيما لو أنفقوا، أي أن صرف المال في سبيل الله أفضل من عدم صرفه في ذلك، فيكون مدعاة لحلول الهلاك وحصول الخسران فيما لو لم ينفقوا.

ولمقابلة شح النفس البشرية كان الترجيح بالإنفاق أمراً حسناً، وهو ما تكفل به المقطع الثالث من الاية : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وربما نستنبط من سياق الآية المباركة : أن هناك درجتين في الإنفاق الذي لولاه يهلك الإنسان ويكون بمثابة الإنفاق على الدواء، وقد أمر به الجزء الأول من الآية، والإنفاق الإضافي الذي يقوم به المحسنون ، وقد أمر به الجزء الثاني من الآية .

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) الفجر:٢٠.

المبحث الخامس

في الفرق بين التفسير والتأويل:

تعتبر مسألة التفريق بين مفهوم التفسير والتأويل من أهم المسائل التي طرحت في مجال علوم القرآن، والتي وقعت محلاً للبحث في كلمات المفسرين والعلماء، ولهذا آثرنا التعرض لها هنا طلباً للفائدة مراعين فيها الإختصار والإجمال[1].

أولا: التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير في اللغة : هو عبارة عن الكشف والبيان وإيضاح المعنى المراد من اللفظ. قال السيوطي: التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف. ويقال هو مقلوب السفر[2]. تقول أسفر الصبح: إذا أضاء. وقيل مأخوذ من التفسرة وهي إسم لما يعرِفُ به الطبيبُ المرضَ[3].

---

(١) يمكن مراجعة الكتب المطولة التي تعرضت بالتفصيل لهذا المبحث ككتاب (التفسير والمفسرون) من سلسلة (التمهيد في علوم القرآن) للعلامة الشيخ محمد هادي معرفة، وكذا كتاب (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي، وغيرهما الكثير.

(٢) مجمع البحرين:ج٣ ، ص: ٤٣٧.

(٣) الإتقان في علوم القرآن:ج٢ ، ص:٤٦٠. قال الفراهيدي في كتابه العين ج ٧، ص: ٢٤٨ : والتَّفْسِرة: اسمٌ للبَوُل الذي ينظُر فيه الأَطِّباء، يُستَدَلُّ به على مَرَض البَدَنِ، وكلُّ شيءٍ يُعرفَ به تفسيرُ الشيءِ فهو التَّفسِرةُ.

وفي الإصطلاح : هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، وبيان محكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ،وعبرها وأمثالها ، ونحو ذلك[١] .

وعرّفه الطريحي بقوله: علم يبحث فيه عن كلام الله تعالى المُنزل للإعجاز من حيث الدلالة على مراده تعالى، فقوله: (المنزل للإعجاز) لإخراج البحث عن الحديث القدسي، فإنه ليس كذلك[٢].

ثانيا: التأويل لغةً واصطلاحاً :

التأويل في اللغة : قال السيوطي: والتأويل أصله من الأَوْل وهو الرجوع[٣]، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني. وقيل من الإيالة وهي السياسة[٤]، كأن المؤولَ للكلام ساسَ الكلام ووضع المعنى فيه موضعه.

وأما إصطلاحاً: فقد وقع بين العلماء كلام طويل وكثير، وجاءت تعاريف مختلفة في ألفاظها وكذا معانيها – كما نراه في كثير من كلمات المفسرين والعلماء– في بيان المعنى الإصطلاحي لمفهوم (التأويل)، ولقد نقل السيوطي أقولاً كثيرة تجاوزت اثني عشر قولاً من علماء أهل العامة [٥]، ناهيك عمّا جاء

---

(١) الإتقان في علوم القرآن:ج٢ ص ٤٦٢.

(٢) مجمع البحرين:ج٣ ص ٤٣٧ .

(٣) لسان العرب:ج١١ ص٣٢.

(٤) أساس البلاغة: ص ٢٥.النهاية في غريب الحديث والأثر:ج١ ص٨٥.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ج٢ ص ٤٦٠.

في كلمات علمائنا الأعلام من الإمامية حيث هي الأخرى جاءت مختلفة كذلك.

فمنهم من قال بعدم الفرق بين التفسير والتأويل وأن كليهما بمعنى واحد، ومنهم من أنكر ذلك، وقال بعضهم بأن التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. ومنهم من ذهب إلى ان التفسير: بيان وضع اللفظ، إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر. والتأويل: تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1]، تفسيره: إنه من الرصد، يقال رصدته: رقبته، والمرصاد مفعال منه. وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والإستعداد للعرض عليه. وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة [2].

ولقد ناقش العلامة السيد الطباطبائي هذه الأقوال وغيرها موضحاً نقاط ضعفها وما يرد عليها من ملاحظات علمية، متوصلاً إلى نتيجة في بيان معنى (التأويل) بقوله: إذا عرفت ما مرّ علمت : أن الحق في تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وأنه ليس من

---

(١) الفجر : ١٤ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ج٢ ص ٤٦٠.

قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ[١]، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ ، وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب، فهي كالأمثال تضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع، كما قال تعالى ﴿حم ** وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ** إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ** وَإِنَّهُ فِي ام الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [٢]، وفي القرآن تصريحات وتلويحات بهذا المعنى . على أنك قد عرفت فيما مرَّ من البيان أن القرآن لم يستعمل لفظ التأويل في الموارد التي استعملها وهي ستة عشر موردا على ما عُدَّت إلا في المعنى الذي ذكرناه [٣].

نماذج من الآيات القرآنية المؤوّلة [٤] :

أولا: قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا إنما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥].

---

(١) خلافا لمن قال بكونه من مداليل الالفاظ ،كما أشار العلامة محمد هادي معرفة بقوله: (وليعلم ان التأويل ــ و هو من الدلالات الباطنية للكلام ــ داخل في قسم الدلالات الإلتزامية غير البينة ، فهو من دلالة الألفاظ لكنها غير البينة ، و دلالة الألفاظ جميعاً مبتنية على معايير يشرحها علم الميزان) انظر: كتاب (التفسير والمفسرون ج٢ ص ١٩).

(٢) الزخرف:١-٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج٣ ص ٤٩ .

(٤) أنظر :التفسير والمفسرون: ج٢ ص ١٧.

(٥) الأنفال:٤١.

هذه الآية نزلت بشأن غنائم بدر، و غاية ما هناك أن عمّت غنائم جميع الحروب، على شرائطها.

لكن الإمام أبا جعفر محمد بن علي الجواد(عليه السلام) نراه يأخذ بعموم الموصول (ما) ، و يفسر ((الغنيمة)) بمطلق الفائدة ، وأرباح المكاسب و التجارات ، التي يربحها أرباب الصناعات و التجارات وغيرهم طول عامهم ، في كل سنة بشكل عام ، كما في الخبر الذي يرويه لنا علي بن مهزيار (رض) حيث أجابه الإمام قائلا :

(فاما الغنائم والفوائد: فهي واجبة عليهم في كل عام، قال الله تعالى:﴿وَاعْلَمُوا إنما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ثم وضّح الإمام (عليه السلام) ذلك قائلا : والغنائم والفوائد يرحمك الله- خطابه إلى علي بن مهزيار- فهي الغنيمة يغنمها المرء والفائدة يفيدها والجائزة من الإنسان للإنسان التي لها خطر عظيم...)[1].

و هكذا ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام): ((الخمس في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير))[2].

ثانيا: قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]، حيث نزلت هذه الآية

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٤ ص١٤١ ،باب الزيادات ، ح٢٠.

(٢) الكافي: ج١ ص٥٤٥،باب الفيء والأنفال ح١١.

(٣) البقرة:١٩٥.

بشأن الإعداد للجهاد، دفاعا عن حريم الإسلام ، فكان مفروضاً على أصحاب الثروات القيام بنفقات الجهاد، دون سيطرة العدو الذي لا يبقي و لا يذر.

لكن ((السبيل)) لا يعني القتال فحسب ، فهو يعم سبيل إعلاء كلمة الدين وتحكيم كلمة اللّه في الأرض، ويتلخص في تثبيت أركان الحكم الإسلامي في البلاد، في جميع أبعاده : الإداري، والاجتماعي، والتربوي، والسياسي، والعسكري ، وما شابه وهذا إنما يقوم بالمال ، حيث المال طاقة يمكن تبديلها إلى أي طاقة شئت ، ومن ثم قالوا: قوام الملك بالمال، فالدولة القائمة بذاتها إنما تكون قائمة إذا كانت تملك الثروة اللازمة لإدارة البلاد في جميع مناحيها.

وهذا المال يجب توفره على أيدي العائشين تحت لواء الدولة الحاكمة، ويكون مفروضا عليهم دفع الضرائب والجبايات ، كل حسب مكنته و ثروته، الأمر الذي يكون شيئا وراء الأخماس والزكوات التي لها مصارف خاصة، لا تعني شؤون الدولة فحسب .

وهذه هي (المالية) التي يكون تقديرها وتوزيعها على الأموال والممتلكات، حسب حاجة الدولة وتقديرها، ومن ثم لم يتعين جانب تقديرها في الشريعة ، على خلاف الزكوات والأخماس ، حيث تعين المقدار والمصرف والمورد فيها بالنص .

ومن هنا نجد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وضع على الخيل العتاق الراعية في كل فرس في كل عام دينارين وجعل على البراذين ديناراً [1].

---

(١) الكافي: ج٣ ص ٥٣٠،باب ما يجب عليه الصدقة من الحيوان ،ح١. العتيق : العربية الكريمة الأصل والبرذون : العجمية الأصل أو ما سوى العتيق.

ثالثا: قوله تعالى : ﴿... **مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الأرض فَكَإنما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَإنما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...**﴾[1].

لقد عرضت الآية الشريفة نظرة السماء إلى قيمة هذا الإنسان، وكيف أنه بوجوده الإنساني يستحق التعظيم والإحترام ، ولا فرق بين كونه فرداً واحداً أو متعدداً، بعد أن كان أصل التقييم قائماً بإنسانية الإنسان، ولأجل ذلك كان الحكم في من أنقذ نفساً من الموت والهلاك بقوة من أحيا كل الإنسانية ، ومن أبادها وقتلها ظلماً وعدواناً بقوة من أباد كل الوجود الإنساني.

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان تعقيباً على هذه الآية: إن الإسلام لا يرى في الدنيا قيمة للإنسان يقوم بها ولا وزناً يوزن به إلا إذا كان على دين التوحيد، فوزن الإجتماع الإنساني ووزن الموحد الواحد عنده سيان، فمن الواجب أن يكون حكمهما عنده واحداً، فمن قتل مؤمناً كان كمن قتل الناس جميعاً ؛ من نظر إزرائه و هتكه لشرف الحقيقة ،كما أن من قتل نفساً كان كمن قتل الناس جميعاً ؛ من نظر الطبيعة الوجودية، و أما الملل المتمدنة فلا يبالون بالدين ولو كانت شرافة الدين عندهم تعادل في قيمتها أو وزنها – فضلاً عن التفوق – الإجتماع المدني في الفضل لحكموا فيه بما حكموا في ذلك[2].

هذا المعنى الظاهر والبارز للآية الشريفة بحسب التفسير، إلا أن هناك معنى آخر للآية من خلال تأويلها وهو ما أشار اليه إمامنا الباقر(عليه السلام) كما يرويه الشيخ الكليني (قدس سره) عن فضيل بن يسار قال : ((قلت لأبي

---

(١) المائدة : ٣٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج١ ص ٤٣٧.

جعفر (عليه السلام) : قول الله عز وجل في كتابه : " ومن أحياها فكإنما أحيا الناس جميعا " ؟ قال : من حرقٍ أو غرقٍ (أي أنقذها من الحرق والغرق) ، قلت : فمن أخرجها من ضلال إلى هدى ؟ قال : ذاك تأويلها الأعظم)) [١].

ضابطة التأويل[٢] :

و مما يجدر التنبه له أن للأخذ بدلائل الكلام ــ سواء كانت جلية ام خفية ــ شرائط و معايير، لا بد من مراعاتها للحصول على الفهم الدقيق فكما ان لتفسير الكلام ــ و هو الكشف عن المعاني الظاهرية للقرآن ــ قواعد واصول مقررة في علم الأصول و المنطق ، كذلك كانت لتأويل الكلام ــ و هو الحصول على المعاني الباطنية للقرآن ــ شرائط و معايير، لا ينبغي إعفاؤها وإلا كان تأويلاً بغير مقياس ، بل كان من التفسير بالرأي الممقوت، فمن شرائط التأويل الصحيح ــ أي التأويل المقبول في مقابلة التأويل المرفوض:

أولاً: رعاية المناسبة القريبة بين ظهر الكلام و بطنه ، أي بين الدلالة الظاهرية وهذه الدلالة الباطنية للكلام ، فلا تكون اجنبية ، لا مناسبة بينها وبين اللفظ أبداً فإذا كان التأويل ــ كما عرفناه ــ هو المفهوم العام المنتزع من فحوى الكلام ، كان لا بد أن هناك مناسبة لفظية أو معنوية استدعت هذا الإنتزاع .

مثلاً: لفظة ((الميزان)) وضعت لآلة الوزن المعروفة ذات الكفتين ، وقد جاء الأمر بإقامتها وعدم البخس فيها، في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢١٠، باب إحياء المؤمن، ح٢.

(٢) ما ذكره العلامة الشيخ محمد هادي معرفة في كتابه :التفسير والمفسرون : ج٢ ص ١٨.

﴿بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[١]. لكنا إذا جردنا اللفظ من قرائن الوضع وغيره وأخلصناه من ملابسات الأُنس الذهني ، فقد أخذنا بمفهومه العام :كل ما يوزن به الشي ، أي شي كان مادياً ام معنوياً، فانه يشمل كل مقياس أو معيار كان يقاس به أو يوزن به في جميع شؤون الحياة ، ولا يختص بهذه الآلة المادية فحسب .

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي : فالميزان آلة التعديل في النقصان والرجحان، والوزن يعدل في ذلك و لولا الميزان لتعذر الوصول إلى كثير من الحقوق ، فلذلك نبّه تعالى على النعمة فيه والهداية إليه وقيل : المراد بالميزان : العدل ، لأن المعادلة موازنة الأسباب [٢].

و ثانيا: مراعاة النظم والدقة في إلغاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام ، ليخلص صفوه و يجلو لبابه في مفهومه العام ، الأمر الذي يكفله قانون ((السبر و التقسيم)) من قوانين علم الميزان (علم المنطق) والمعبر عنه في علم الأصول: بتنقيح المناط، الذي يستعمله الفقهاء للوقوف على الملاك القطعي لحكم شرعي، ليدور التكليف أو الوضع معه نفياً وإثباتاً، و لتكون العبرة بعموم الفحوى المستفاد، لا بخصوص العنوان الوارد في لسان الدليل وهذا أمر معروف في الفقه ، وله شرائط معروفة .

ومثال تطبيقه على معنى قرآني ، قوله تعالى – حكاية عن موسى (ع)–: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾[٣]. هذه قولة نبي

---

(١) الرحمن: ٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن:ج٩ ص ٤٦٥.

(٣) القصص: ١٧.

اللّه موسى (عليه السلام) قالها تعهداً منه للّه تعالى ، تجاه ما أنعم عليه من البسطة في العلم والجسم : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، قضى على عدوه بوكزة وكزه بها، فحسب انه قد فرط منه ما لا ينبغي له ، فاستغفر ربه فغفر له فقال ذلك تعهدا منه للّه، أن لا يستخدم قواه وقدرته الذاتية ، والتي منحه اللّه بها، في سبيل الفساد في الأرض، ولا يجعل ما آتاه اللّه من إمكانات معنوية ومادية في خدمة أهل الإجرام .

هذا ما يخص الآية في ظاهر تعبيرها بالذات .

وهل هذا أمر يخص موسى (عليه السلام) لكونه نبياً ومن الصالحين ، أم هو حكم عقلي بات يشمل عامة أصحاب القدرات ، من علماء وأدباء وحكماء وأرباب صنائع وفنون ، وكل من آتاه اللّه العلم و الحكمة وفصل الخطاب ؟ لا ينبغي في شريعة العقل أن يجعل ذلك ذريعة سهلة في متناول أهل العبث و الإستكبار في الأرض ،بل يجعلها وسيلة ناجحة في سبيل إسعاد العباد و إحياء البلاد ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2].

وهذا الفحوى العام للآية الكريمة إنما يعرف وفق قانون – السبر والتقسيم – إلغاء الخصوصيات المكتنفة بالموضوع ، فيتنقح ملاك الحكم العام .

---

(١) القصص:١٤.

(٢) هود:٦١.

المبحث السادس

في بيان عظمة سورة الحمد وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول:

في ذكر الروايات الدالة على عظمة ومقام سورة الحمد.

إهتم القرآن الكريم بهذه السورة المباركة اهتماماً خاصاً، حيث جعلها عِدلاً لباقي القرآن، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[1]. والمراد من (السبع المثاني) كما جاء في عدد من المرويات المأثورة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) هي سورة الحمد، لذا ورد التأكيد عليها في روايات الفريقين من حيث أنها أفضل سورة نزلت على قلب النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) وإليك مجموعة من هذه الروايات الشريفة:

أولا: ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن الله عز وجل قال لي: يا محمد ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وان فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش وإن الله عزَّ وجل خص محمداً (صلى الله عليه وآله) وشرفه بها و لم يشرك معه فيها

---

(١) الحجر: ٨٧ .

أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان (عليه السلام) فانه أعطاه منها (بسم الله الرحمن الرحيم)[١].

ثانيا: عن الحسن بن علي (عليهما السلام) في حديث طويل: ((جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسأله أعلمهم عن أشياء فكان فيما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين وأعطى أمتك من بين الأمم ؟ فقال النبي : أعطاني الله عز وجل فاتحة الكتاب)) [٢].

ثالثا: عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لجابر بن عبد الله : ((يا جابر ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه ؟ قال : فقال جابر : بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علمنيها ، قال : فعلمه الحمد لله أم الكتاب ، قال : ثم قال له : يا جابر ألا أخبرك عنها ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمي فاخبرني ، قال : هي شفاء من كل داء إلا السام يعنى الموت))[٣].

رابعا: عن أبي هريرة، عن أبيّ بن كعب، قال: ((قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن [٤]، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي)) [٥].

خامسا: روى مسلم في صحيحه، والنسائي في سننه، من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم، عن عمار بن رُزَيق، عن عبد الله بن عيسى بن عبد

---

(١) عيون أخبار الرضا :ج١ ص٢٧٠.

(٢) الخصال: ج١ ص٣٥٥.

(٣) تفسير العياشي: ج١ ص١٠١ ،ح٩.

(٤) سوف يأتي لاحقا بيان معنى كونها (ام القرآن).

(٥) تفسير ابن كثير:ج١ ص ١٠٥.

الرحمن بن أبي ليلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ((بينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعنده جبريل، إذ سمع نقيضًا- أي صوتا- فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء، فقال: هذا باب قد فتح من السماء، ما فتح قط. قال: فنزل منه ملك، فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، ولن تقرأ حرفًا منهما إلا أوتيته))[1].

سادسا: أخرج أبو الشيخ في الثواب، والطبراني وابن مردويه والديلمي والضياء المقدسي في المختارة، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((أربع أنزلن من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهن: أم الكتاب، وآية الكرسي ، وخواتيم سورة البقرة ، والكوثر))[2].

سابعا: وأخرج أبو نعيم والديلمي عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (((فاتحة الكتاب تجزئ مالا يجزئ شيء من القرآن، ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات))[3].

هذه مجموعة من الروايات الشريفة وبألسنة متنوعة عرضت لنا فضل سورة الفاتحة وعظمتها، الأمر الذي ينبغي أخذه بعين الإعتبار كي لا نقرأ هذه السورة المباركة قراءة لا تتعدى الحناجر، بل يجب الإستفادة من نورها وبركتها من خلال معرفتها والتدبر في معانيها وجعلها حرزاً ودرعاً في كل أمور حياتنا.

---

(١) تفسير ابن كثير: ج١،ص١٠٦.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور:ج١ ص٥.

(٣) المصدر السابق .

المطلب الثاني: في بيان ثواب تلاوة سورة الحمد.

لقد تقدم الكلام بنا قبل قليل في عرض جملة من الروايات التي تحدثت عن فضل سورة الفاتحة على وجه خاص، والآن نريد أن نتناول وجهاً آخر من خلال تسليط الضوء حول ما للقارئ المتدبر من فضل وثواب في تلاوته لهذه السورة الكريمة، في ضوء ما جاء من الروايات الشريفة.

والواقع أن تلاوة سورة الفاتحة تفتح لك أعظم أبواب الشرف وهي الحوار مع الله تبارك وتعالى، ولهذا جاء في الحديث القدسي: ((قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإذا قَالَ الْعَبْدُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللَّهُ : حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإذا قَالَ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإذا قَالَ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي أو قَالَ فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي. وَإذا قَالَ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ : هَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإذا قَالَ (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) فَهَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ))[1].

وإليك مجموعة من الروايات الشريفة التي تناولت موضوع فضيلة تلاوة سورة الفاتحة وما لها من درجات يكسبها قارئها.

أولاً: عن النبي (صلى الله عليه وآله) : ((فضل سورة الحمد ،كفضل حملة العرش، من قرأها أعطاه ثواب حملة العرش)) [2].

---

(١) السنن الكبرى:ج٢ ص٤٥٠ .

(٢) مستدرك الوسائل:ج٤ ص٣٣٠.

ثانيا: عنه (صلى الله عليه وآله) : ((من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله عز وجل بعدد كل آية نزلت من السماء ثواب تلاوتها))[١].

ثالثا: عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من قرأ فاتحة الكتاب فكإنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان))[٢].

ودلالة الحديث واضحة باعتبار أن ما في هذه الكتب السماوية من الأصول الثابتة والمفاهيم العامة كالدعوة إلى التوحيد ومقارعة الظالمين ونصرة المظلومين وتحريم القبائح والفواحش، والدعوة إلى الخير والصلاح وما إلى ذلك من مفاهيم عامة أخرى، فإنها مما حملها القرآن ونادى بها، هذا من جهة المضمون، وأما من جهة القراءة وثوابها فلكونها- أي سورة الفاتحة- عِدل القرآن وهو أحسن الحديث وأعظم الكتب السماوية فمن قرأها قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

رابعا: روى جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) ،عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : ((لما أراد الله عز وجل أن ينزل فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، و (شهد الله) ، (قل اللهم مالك الملك) إلى قوله (بغير حساب) تعلقن بالعرش ، وليس بينهن وبين الله حجاب فقلن : يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب ، وإلى من يعصيك ونحن بالطهور والقدس متعلقات فقال سبحانه : وعزتي وجلالي ما من عبد قرئكن في دبر كل صلاة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه ، وإلا نظرت إليه ، وإلا نظرت إليه بعيني

---

(١) الخصال:ص٣٥٥. وفي نص آخر عنه (صلى الله عليه وآله) كما في أمالي الصدوق ص٢٦١: ((فيجزى بها ثوابها)). وهذا الثواب معلوم بإعتبار كونها عِدلاً للقرآن كما في نصوص كثيرة.

(٢) فتح القدير:ج١ ص١٦.

المكنونة في كل يوم سبعين نظرة ، وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة ، وإلا أعذته من كل عدو ونصرته عليه ، ولا يمنعه دخول الجنة إلا الموت))[١].

قال بعض المحققين معلِّقاً على بعض فقرات هذا الحديث بقوله: ((تعلقن بالعرش)) هذا إما كناية عن تقدسهن وبعدهن عن دنس الخطايا، أو المراد تعلق الملائكة الموكلين بهن، أو أرواح الحروف كما أثبتها جماعة. والحق أن تلك الأمور من أسرار علومهم وغوامض حكمهم ونحن مكلفون بالتصديق بها إجمالا وعدم التفتيش عن تفصيلها والله يعلم [٢].

أقول: الذي نراه ان هذه الأمور ترتبط بعالم الملكوت أي أن لسانها وكلامها إنما هو في وجودها في عالم الملكوت لا في عالم الملك. وأما عالم الملكوت فإن لكل شيء لساناً وحياة ووجوداً وكلاماً وشعوراً. وإن عالم الملكوت شامل لكل العوالم وشامل لكل الموجودات كما قال تعالى : ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣]. ،ومن هذا القبيل قوله تعالى أيضا:﴿ حَتَّى إِذا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *** وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٤].

---

(١) عدة الداعي ونجاح الساعي ص٢٧٨.

(٢) مرآة العقول :ج١٢،ص٥٠٧.

(٣) يس: ٨٣.

(٤) فصلت: ٢٠.

المطلب الثالث : في ذكر الآثار المترتبة على قراءة سورة الحمد.

إن مما لا شك فيه أن سورة الفاتحة لها خصائص ومميزات كثيرة، ولعل أبرز ما يدل على أهميتها هو فرضها مكررة في الصلاة التي تعتبر العبادة الرئيسة في الإسلام وفي حياة الإنسان ، ولعل سبب تكرارها في الصلاة ، إضافة إلى الأسرار الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ، هو أمر مرتبط بما لهذه السورة من قيمة عالية ومضامين كبيرة ذات مستوى عال [١] .

وإن من هذه الخصائص والمميزات العالية أيضا هي ما روي من ترتب الآثار المختلفة لمن قرأها سواء على مستوى الروح أو على مستوى البدن، ويمكن لنا ذكر بعض هذه الآثار الوضعية من خلال ما ورد في جملة من الروايات الشريفة، الأمر الذي يكشف لنا عظمة هذه السورة المباركة ومزيد فضلها ، وهي كما يلي:

أولاً: تفريج الهم ودفع البلاء:

عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال : ((من قرأ فاتحة الكتاب فقال الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أهونها الهم))[٢].

ثانيا: الإستشفاء بسورة الحمد:

إن مسألة الإستشفاء بالقرآن الكريم من الأمور الثابتة عند جميع المسلمين، وقد أكدته آيات الشفاء كقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

---

(١) تفسير سورة الحمد: السيد محمد باقر الحكيم: ص١٣٦.

(٢) مسند زيد بن علي: ص٣٨٩. سيأتي بعد قليل ذكر بعض الآثار المترتبة على من قرأ سورة الفاتحة.

﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1]، وأما الروايات فهي فوق حدّ الإحصاء وسوف نذكر بعضاً منها فيما يتعلق بسورة الفاتحة.

إطلالة علمية :

أكد العالم الياباني ((ماساروا أموتو)) أن ماء زمزم يمتاز بخاصية علمية لا توجد في الماء العادي، مشيراً إلى أن الدراسات والبحوث العلمية التي أجراها على الماء بتقنية النانو، لم تستطع تغيير أي من خصائصه وأن قطرة من ماء زمزم حين إضافتها إلى (١٠٠٠) قطرة تجعل الماء العادي يكتسب خصائص هذا الماء.

وجاء حديث الباحث العالمي الياباني الدكتور (ماسارو أموتو) رئيس معهد هاو للدراسات العلمية خلال ندوة علمية تمّ تنظيمها بمدينة (جدّة) السعودية، عن أبحاث الماء بتقنية النانو، وقال (أموتو) إنه حصل على ماء زمزم من شخص عربي كان يقيم في اليابان، مبيناً أنه ماء فريد ومتميز ومقدّس ولا يشبه في بلوراته أي نوع من المياه في العالم أياً كان مصدرها.

ولفت إلى أن كل الدراسات في المختبرات والمعامل لم تستطع أن تغير خاصية هذا الماء، وهو أمر لم تستطع معرفته حتى الآن، وأن بلورات الماء الناتجة بعد التكرير تعطي أشكالاً رائعة لذلك لا يمكن أن يكون هذا الماء عادياً.

البسملة في القرآن الكريم وتأثيرها على بلورات الماء:

وأشار الباحث الياباني – وهو مؤسس نظرية بلورات ذرات الماء التي تعد اكتشافاً علمياً جديداً في مجال أبحاث الماء – ومؤلف رسائل الماء، إلى أن البسملة في القرآن الكريم هذا الكتاب الخالد التي يستخدمها المسلمون في بداية

---

(١) الإسراء: ٨٢.

أعمالهم وعند تناول الطعام أو الخلود إلى النوم لها تأثير عجيب على بلـــورات الماء.

وأوضح إنه حين تعرضت بلورات الماء للبسملة عن طريق القراءة أحدثت تأثيراً عجيباً، وكوّنت بلورات فائقة الجمال في تشكيل الماء إلى جانب أن أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، وحين اختبر الإسم التاســع عشــر (العلــيم) وعرض على بلورات الماء شكّل تأثيرات في شكل الماء وخواصه مما يدل على عظمة أسماء الله.

القرآن الكريم وذاكرة الماء:

وأشار الدكتور (ماسارو أموتو) إلى تجربة إسماع الماء شريطاً يتلــى فيــه القرآن الكريم، فتكونت بلورات من الماء لها تصميم رمزي غايــة في الصــفاء والنقاء، مؤكداً أن الأشكال الهندسية المختلفة التي تتشكل بها بلــورات المــاء الذي قرأ عليه القرآن أو الدعاء تكون اهتزازات ناتجة عن القرآن على هيئــة صورة من صور الطاقة. وبين أن ذاكرة الماء هي صورة مــن صــور الطاقــة الكاملة، والتي تمكنه من السمع والرؤيــة والشــعور والإنفعــال واختــزان المعلومات، ونقلها والتأثر بها إلى جانب تأثيرها في تقوية مناعة الإنسان وربمــا علاجه أيضا من الأمراض العضوية والنفسية.

وعلّق عميد كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة الــدكتور عــدنان المزروعي بأن الدكتور (ماسارو أموتو) طرح في دراساته أن أي ذرة في عالم الوجود لها إدراك وفهم وشعور فهي تبدي انفعالاً إزاء كل حدث يقع في العالم وتعظم خالقها وتسبحه عن بصيرة. ولفت إلى أن ذرات الماء تتسم بالقــدرة

على التأثير بأفكار الإنسان وكلامه، فالطاقة الإهتزازية للبشر والأفكار والنظرات والدعاء والعبادة تترك أثراً في البناء الذري للماء.

وأضاف المزروعي أن الدكتور (أموتو) استنتج أيضا أن الدعاء يجعل كل شيء جميلاً، ومن هذه الأشياء الماء، وهذا ما جاءت به الشريعة الإسلامية ومن هنا لنا أن نتخيل بعد هذا كله كيفية تأثر الإنسان الذي يتكون جسمه من ٧٠% من المياه بالأفكار والمشاعر والنظرات والدعاء.

ويمتلك (أموتو) موقعاً على الإنترنت بعنوان (www.masaru-emot.net) تضمن الموقع العديد من التجارب على ماء زمزم ونتائجها، وأيضاً تجارب على ذكر البسملة وأسماء الله الحسنى على الماء العادي، وكيف أن تركيبة البلورات المائية تتغير بمجرد لفظ هذه الأسماء ، كما تضمن الموقع صوراً للبلورات المائية الجميلة وخاصة البلورة المائية الخاصة بماء زمزم.

أقول: وهذا يدلل على أن للقرآن الكريم تأثيرات تكوينية ليس فقط على الإنسان وإنما على جميع الموجودات، كما أشارت الآية الكريمة: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

واليك عددا من الروايات الشريفة التي تحدثت عن سورة الفاتحة وأثرها في الشفاء، الأمر الذي يعطينا تطبيقاً عملياً لروايات الإستشفاء بفاتحة الكتاب وكذا غيرها من الآيات القرآنية التي وردت فيها أخبار في كونها مما يستشفى به.

---

(١) الحشر: ٢١.

الرواية الأولى: عن عبد الملك بن عمير قال: ((قال رسول الله (صلى الله عليه- وآله- وسلم) في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء))[١].

الرواية الثانية : عن أبي سليمان قال : كنا مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، في غزاة ، فصرع رجل ، فقرأ بعض الصحابة فاتحة الكتاب في أذنه ، فقام وعوفي من صرعه ، فقلنا ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال (صلى الله عليه وآله) : ((هي أم القرآن وهي شفاء من كل داء))[٢].

الرواية الثالثة: وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن السني في عمل اليوم والليلة والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه : أنه أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم أقبل راجعاً من عنده فمرَّ على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله أعندك ما تداوي به هذا ؟ فان صاحبكم قد جاء بخير قال :فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام، في كل يوم مرتين غدوة وعشية، أجمع بزاقي ثم أتفل، فبرأ فأعطوني مائة شاة فأتيت النبي (صلى الله عليه –وآله–وسلم)فذكرت ذلك له فقال: ((كل فمن أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق))[٣].

الرواية الرابعة: وأُبين- أي قُطعت- إحدى يدي هشام بن عدي الهمداني في حرب صفين فأخذ علي (عليه السلام) يده وقرأ شيئا وألصقها فقال : يا أمير المؤمنين ما قرأت ؟ قال : فاتحة الكتاب كأنه استقلها ، فانفصلت يده نصفين، فتركه علي ومضى[٤].

---

(١) سنن الدارمي: ج٤ ص ٤٤٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٤ ص ٣٠١ .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور:ج١ ص ٥.

(٤) مناقب آل ابي طالب:ج٢ ص ٢٣٦.

تعليق:

ان هذه الحادثة تعطينا دروساً مهمة في مجال المعرفة وتكشف لنا بعض أسرار هذه السورة المباركة من جهة، ومن جهة أخرى توضح لنا سبب عدم استمرارية الأثر الذي ترتب أولاً حين قراءة السورة المباركة.

إن الآثار بمثابة المعلولات بل هي كذلك، ومن المعلوم في محله أن المعلولات مترتبة على حصول عللها وارتفاع المانع ووجود المقتضي لها، فهذه أركان ثلاثة لوجود المعلول، (وجود العلة، ارتفاع المانع، وجود المقتضي) فإذا اختل أحد هذه الأركان لم يظهر الأثر أو المعلول.

ولأجل وجود المعلول لابد من وجود علته حدوثاً وبقاءً، أي كما انه في وجوده هو محتاج إلى وجود العلة ،كذلك هو محتاج في بقائه واستمراريته إلى وجود العلة معه، وهذا ما يعبر عنه بالتعاصر بين العلة والمعلول.

وإلى هذا المعنى أشار الفيلسوف السيد محمد باقر الصدر(قدس سره) بقوله: ما كنا نعرف الآن ، أن وجود المعلول مرتبط ارتباطاً ذاتياً بوجود العلة فنستطيع أن نفهم مدى ضرورة العلة للمعلول ، وأن المعلول يجب أن يكون معاصراً للعلة ، ليرتبط بها كيانه ووجوده ، فلا يمكن له أن يوجد بعد زوال العلة ، أو أن يبقى بعد ارتفاعها وهذا هو ما شئنا أن نعبر عنه بقانون (التعاصر بين العلة والمعلول) [1].

وبعد هذه المقدمة نقول: إن هاشم بن عدي الهمداني حين أعطى يده أمير المؤمنين (عليه السلام) وقرأ عليها الإمام سورة الفاتحة ظهرت نتائج هذه القراءة بشكل فوري، حيث التصقت يد ابن عدي وعادت كما كانت، وهذا

---

(١) فلسفتنا: ص ٢٧٩.

يكشف لنا أن شروط القضية كانت تامة حين القراءة، ولكن لم تستمر هذه النتيجة و لم يدم هذا الأثر، وهنا نتساءل عن السبب في ذلك؟

والظاهر أن سبب ذلك هو عدم استمرارية تلك الظروف التي صاحبت القراءة في الآن الأول، وحصول المانع من ذلك فيما بعد وهو عبارة عن استكثاره أن يكون لسورة الفاتحة هذا الشأن ، أي أنه استغرب أن يكون لسورة الفاتحة مثل هذا الأثر العظيم وداخله شيء من حديث النفس الذي لا ينسجم مع مبدأ التسليم والإيمان المطلق في ثبوت مثل هذه الحقائق الإيمانية والقرآنية العظيمة.

وهذا درس آخر من دروس الحياة الإيمانية الذي لا ينبغي التعامل معه بشيء من الإهمال واللامبالاة، لأنه يرتبط بالجانب الفكري والمعرفي- العقيدة- في حياة الفرد المسلم المؤمن، فإن للإيمان ورسوخ العقيدة الأثر الكبير في حصول النتائج المتوقعة ولذا ورد التأكيد على مسألة حسن الظن بالله تعالى ، وعدم استكثار شيء عليه عز وجل. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ((اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب كذلك أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى (عليه السلام) كان يمشي على الماء فقال (صلى الله عليه وآله) لو زاد يقينه لمشى على الهواء))[1].

وتروى كذلك قصة شبيهة بهذه القصة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً حيث قال : ((اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إن عيسى بن مريم كان من شرايعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه

(١) مصباح الشريعة : ص١٧٧.

قصير وكان كثير اللزوم لعيسى (عليه السلام) ، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى (عليه السلام) : جازه بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى (عليه السلام) ، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله علي، قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عز وجل مما قلت، قال: الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً))[1].

الرواية الخامسة: روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : ((علمني جبريل (عليه السلام) دواء لا يحتاج معه إلى دواء ، فقيل : يا رسول الله ، ما ذلك الدواء ؟ قال : يؤخذ ماء المطر قبل أن ينزل إلى الأرض ثم يجعل في إناء نظيف ويقرأ عليه " الحمد " إلى آخرها سبعين مرة و " قل هو الله أحد " والمعوذتين سبعين مرة ، ثم يشرب منه قدحاً بالغداة وقدحاً بالعشي، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : والذي بعثني بالحق لينزعن الله ذلك الداء من بدنه وعظامه ومخته وعروقه))[2].

---

(١) الكافي : ج٢ ،ص ٣٠٧ .

(٢) مكارم الأخلاق: ج١ ص ٣٩٥ .

ثالثا: في كونها شفاء من السم:

أخرج سعيد بن منصور والبيهقي وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري : ((فاتحة الكتاب شفاء من السم))[١].

رابعا: في كونها حصناً من عيون الإنس والجن :

أخرجه الديلمي عن عمران بن حصين: ((في كتاب الله ثمان آيات للعين لا يقرأها عبد في دار فتصيبهم ذلك اليوم عين إنس أو جن فاتحة الكتاب سبع آيات وآية الكرسي))[٢].

المطلب الرابع : في ذكر أسماء سورة الحمد.

لا يخفى على أولي الألباب من أن الإسم مرآة تعكس جانباً من معالم الذات أو المسمّى، ومن هنا تكون عملية وضع الأسماء واختيارها لذواتها مهمة ودقيقة ، كما إن كثرة الأسماء لمسمّى واحد يوحي بعلو شأنه وعظمة مقامه وشرفه في الأعم الأغلب.

ومن هنا جاء الكلام في هذا المطلب حول أسماء سورة الحمد ومعانيها، في ضوء ما ورد في الروايات الشريفة أو كلمات المفسرين.

يقول السيوطي في كتابه الإتقان: قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها غسمان فأكثر. من ذلك الفاتحة: وقد وقفت لها على نيف وعشرين إسماً، وذلك يدل على شرفها، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى[٣].

---

(١) الاتقان في علوم القرآن: ج٢ ص٤٣٥.

(٢) كشف الخفاء:ج٢ ص ٨٢ .كنز العمال: ج١ ص ٥٥٧.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ج١ ص ١٤٨.

الأسماء المشهورة لسورة الفاتحة :

أولا : فاتحة الكتاب:

فاتحة الكتاب هو الإسم الأكثر شيوعا لهذه السورة المباركة، ولقد تضافرت واستفاضت الروايات في تسميتها بهذا الإسم، ولقد تقدمت الإشارة إلى مجموعة من تلكم الروايات في المطالب السابقة، ولهذا لا داعي لسردها مجدداً، ولكن لا بأس بذكر رواية أو روايتين مما لم نذكره سابقاً لتأكيد هذا المطلب وتعميم الفائدة.

أولا: ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال: ((لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب))[1].

ثانيا: ما أخرجه الطبري عن ابن ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ((هي أم الكتاب، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني)). ثم قال: - أي الطبري - وسمّيت فاتحة الكتاب لأنها يفتتح بكتابتها المصاحف ويقرأ بها في الصلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة [2].

وجه تسميتها بالفاتحة :

لقد تقاربت كلمات المفسرين إلى أن السبب في تسميتها بالفاتحة هو باعتبار أن الصلاة لا تقبل إلا بها ولا تفتتح القراءة إلا بها، أو لكونها قد وقعت في بداية المصحف الشريف أي من حيث ترتيب السور فإن القرآن

---

(١) عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: ج١ ص١٩٦ .

(٢) تفسير الطبري:ج١ ص٧٣.

قد بدأ بها [١] ، كما تقدم ذلك في بعض الروايات أيضاً، أو لأن الحمد فاتحة كل كلام [٢].

ويمكن أن يقال : بأن لفظ الفاتحة له مدلول معنوي دقيق حيث إنه يشير إلى معنى الفتح والإفتتاح الذي يحصل عليه قارئ هذه السورة، فكأن الذي يتلو هذه السورة يفتح الله قلبه إلى الإيمان والمعرفة، والقلب إذا انفتح على الله تعالى فسوف يسطع نور المعرفة عليه، وبالتالي سوف يكون ذلك طريقاً للكمال والسعادة وصيرورة الإنسان إنساناً كاملاً قد حقق غاية الخلقة.

تحقيق في التسمية :

ولكن ربما يقال: إن وجه تسميتها بالفاتحة نظراً لكونها قد وقعت في بداية كتاب الله من حيث ترتيب السور غير واضح؛ لأن المشهور عند علماء القرآن إن ترتيب السور بالشكل الذي عليه المصحف اليوم ،كان قد وقع ما بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وإلى هذا المعنى أشار الباحث العلامة الشيخ محمد هادي معرفة بقوله: وأما جمع السور وترتيبها بصورة مصحف مؤلف بين دفتين، فهذا قد حصل بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله): انقضى العهد النبويّ والقرآن منثور على العسب واللخاف [٣]والرقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وبعض الحرير والقراطيس وفي صدور الرجال.

كانت السور مكتملة على عهده (صلى الله عليه وآله) مرتّبة آياتها وأسمائها، غير أنّ جمعها بين دفتين لم يكن حصل بعد، نظراً لترقب نزول قرآن

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١ ص٥٠.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج١ ص ١٧٣.

(٣) العسب: جريدة النخل إذا كشط خوصها. واللخف: حجارة بيض رقاق. والأديم: الجلد المدبوغ.

على عهده (صلى الله عليه وآله) فما دام لم ينقطع الوحي لم يصح تأليف السور مصحفاً إلا بعد الإكتمال وانقطاع الوحي، الأمر الذي لم يكن يتحقق إلا بانقضاء عهد النبوّة واكتمال الوحي [1].

في الوقت الذي نرى روايات تروى مفادها أنها- أي سورة الحمد- سميت بالفاتحة على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه، لكونها وقعت في بداية كتاب الله تعالى، الأمر الذي يوحي بوجودها ضمن تسلسل صحيح يناسب تسميتها بالفاتحة، وبالتالي كيف نعالج هذا التهافت الذي يظهر من خلال كلمات مشهور علماء القرآن وبين الروايات الشريفة التي صرحت بوجه تسميتها بالفاتحة وذلك لكونها فاتحة السور من كتاب الله المجيد ؟

وللجواب عن هذا التساؤل نقول :

إن موضوع ترتيب السور القرآنية فيه أقوال متعددة، ومن بينها قولان:

أحدهما: للمشهور [2] حيث ذهب إلى أن ترتيب السور كان في زمن الصحابة من بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) كما تقدمت الإشارة اليه آنفاً.

والثاني: ما تبنّاه بعض الباحثين ، من أن مسألة ترتيب السور كانت على عهد رسول الله وزمن حياته (صلى الله عليه وآله) وهو الذي أشرف على ذلك بنفسه، واستدلوا على ذلك بمجموعة من الأدلة والمؤيدات.

---

(١) التمهيد في علوم القرآن: ج١ ص٢٨٥.

(٢) منهم السيد العلاّمة الطباطبائي في كتابه الميزان في تفسير القرآن:ج١٢ص١٢٤،و١٣١؛ج٣ ص٧٨-٧٩. وكذلك الفقيه العلاّمة السيد الخوئي في كتابه البيان في تفسير القرآن:ص٢٥٧-٢٧٨.

قال الشيخ العلامة محمد هادي معرفة : وذهب إلى هذا الرأي جماعة من علماء السلف كالقاضي أبي بكر بن الطيب وأبو بكر ابن الأنباري والكرماني والطيبي، ووافقهم علم الهدى السيد المرتضى قال: كان القرآن على عهده (صلى الله عليه وآله) مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن. واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عيّن جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبيّ (صلى الله عليه وآله) ويتلى عليه.

وإنّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب وغيرهما ختموا على النبيّ (صلى الله عليه وآله) عدة ختمات . وكل ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ولا مبثوث [1].

وهنا نقول: على ضوء القول الثاني يزول التهافت المشار إليه سابقاً، وحينئذ يتجه الكلام إلى كون سورة الحمد إنما سميت بالفاتحة لورودها في بداية كتاب الله من حيث ترتيب السور القرآنية، وهذا ما ينسجم تماماً مع الروايات التي تعرضت إلى وجه تسميتها بالفاتحة كما تقدمت الإشارة إلى بعض منها ضمن المطالب السابقة.

وأما كون القرآن قد جمع في عهد الصحابة فهو إن ثبت كان بمعنى التجميع لسور القرآن بشكل مصحف مكتوب وجمع آيات كل سورة وإدخالها فيها بحسب ما يتناسب معها. نعم هناك كلام وتفصيل ليس هنا محله وإنما يبحث في علوم القرآن.

---

(١) التمهيد في علوم القرآن:ج١ ص٢٨٧. وذهب أيضا إلى هذا الرأي من المعاصرين صاحب كتاب تفسير الأمثل ج١ ص٢٢.

ثانيا: الحمد:

وهو من الأسماء المشهورة لها، وإنما سمّيت بذلك لورود الحمد لله تعالى في أولها.

عن محمد بن سنان عن أبي عبد الحسن موسى بن جعفر عن أبيه الصادق (عليه السلام) قال : ((قال لأبي حنيفة: ما سورة أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء ؟ فبقي متحيّراً ثم قال لا أدري ، فقال الصادق (عليه السلام): السورة التي أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء سورة الحمد))[1].

ثالثا: أم الكتاب وأم القرآن:

قال السيوطي: وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة تسميتها بذلك. فأخرج الدارقطني وصححه من حديث أبي هريرة مرفوعاً : ((إذا قرأتم الحمد فاقرءوا (بسم الله الرحمن الرحيم)، إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني))[2].

وقد أشارت بعض الروايات المتقدمة إلى ذلك. نعم وقع الإختلاف في سبب التسمية. قال الطبرسي في مجمع البيان: سميت بذلك لأنها متقدمة على سائر سور القرآن ، والعرب تسمي كل جامع أمر أو متقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه أمّا، فيقولون أمّ الرأس للجلدة التي تجمع الدماغ ، وأمّ القرى لأن الأرض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها أمّا، وقيل لأنها أشرف البلدان فهي متقدمة على سائرها ، وقيل سميت بذلك لأنها أصل القرآن والأمّ هي

---

(١) تفسير العياشي:ج١ ص٩١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن:ج١ ص ١٤٩. السنن الكبرى: ج٢ ص ٤٥.

الأصل، وإنما صارت أصل القرآن لأن الله تعالى أودعها مجموع ما في السور، لأن فيها إثبات الربوبية و العبودية و هذا هو المقصود بالقرآن[١].

وقد ورد في الخبر عن ابن عباس: ((ان لكل شيء أساساً، وأساس القرآن الفاتحة))[٢].

رابعا : السبع المثاني :

تقدمت الإشارة في مجموعة من الروايات إلى أن هذا الإسم- السبع المثاني- مما عرفت به السورة ، ومن هذه الروايات أيضاً، ما رواه العياشي في تفسيره عن يونس بن عبد الرحمن عمّن رفعه قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[٣] قال : ((هي سورة الحمد وهى سبع آيات ، منها بسم الله الرحمن الرحيم وإنما سميت المثاني لانها تثنّى في الركعتين))[٤].

قال السيوطي في كتابه الإتقان: ورد تسميتها بذلك في الحديث المذكور وأحاديث كثيرة، أما تسميتها سبعاً فلأنها سبع آيات. أخرج الدارقطني ذلك عن عليّ. وقيل فيها سبعة آداب، في كل آية أدب، وفيه بعد. وقيل لأنها خلت من سبعة أحرف الثاء والجيم والخاء والزأي والشين والفاء. قال المرسي: وهذا أضعف مما قبله لأن الشيء إنما يسمى بشيء وجد فيه لا بشيء فقد منه. وأما المثاني: فيحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء لنا فيها من الثناء على الله تعالى،

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن:ج١ ص٣٥.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:ج١ ص١٨.

(٣) الحجر : ٨٧ .

(٤) تفسير العياشي: ج١ص٩٩ ح٣. أي تقرأ في الصلاة في كل ركعة من الركعتين.

ويحتمل أن يكون من الثنيا لأن الله استثناها لهذه الأمة، ويحتمل أن يكون من التثنية، قيل لأنها تثنى في كل ركعة [1].

المطلب الخامس: في بيان المحاور الرئيسة لسورة الحمد بشكل إجمالي.

لعل السبب الذي جعل هذه السورة المباركة تحتل هذا الموقع المتميز في القرآن العظيم هو اشتمالها على الحقائق الكليّة والعلوم الإلهية ، ونعوت الجمال والجلال ، وأسرار المبدأ والمعاد ، وإرشاد العباد إلى طريق السّداد، وما تضمنته من المعارف والحقائق الأساسية التي جاء القرآن من أجلها، بل جميع الكتب والرسالات السماوية، حيث نجد على سعتها في بيان المعارف الأصلية وما يتفرّع عليها من الأخلاق والأحكام والوعد والوعيد والقصص والعبر، ترجع جميع بياناتها إلى التوحيد والنبوة والمعاد وفروعاتها، وإلى هداية العباد في مما يصلح به أولاهم وأخراهم، وهذه السورة- الفاتحة- تشتمل على جميعها بأوجز لفظ وأوضح معنى.

وهنا نلاحظ الإمام الرضا(عليه السلام) يبين لنا جانباً من أسرار هذه السورة بقوله: ((فإن قال: فلم بدء بالحمد في كل قراءة دون سائر السور؟ قيل: لأنه ليس شيء في القرآن والكلام جمع فيه جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد؛ وذلك أن قوله تعالى (الحمد لله) إنما هو أداء لما أوجب الله تعالى على خلقه من الشكر وشكره لما وفق عبده للخير. (رب العالمين) تمجيد له وتحميد وإقرار وأنه هو الخالق المالك لا غيره. (الرحمن الرحيم) استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه. (مالك يوم الدين) إقرار له بالبعث والنشور والحساب والمجازات وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك

(١) الاتقان في علوم القرآن: ج١ ص١٨١.

الدنيا. (إياك نعبد) رغبة وتقرب إلى الله عز وجل وإخلاص بالعمل لـــه دون غيره . (وإياك نستعين) استزادة توفيقه وعبادته واستدامته لما أنعم الله وبصره. (إهدنا الصراط المستقيم) إسترشاد لأدبه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة بربه وبعظمته وبكبريائه. (صراط الذين أنعمت عليهم) توكيد في السؤال والرغبـــة وذكر لما تقدم من أياديه ونعمه على أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم. (غـــير المغضوب عليهم) استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين بـــه وبأمره ونهيه. (ولا الضالين) إعتصام من أن يكون من الضالين الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة ويحسبون [1].

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ ص١١٣.

الفصل الثاني

تفسير سورة الفاتحة ، وفيه مباحث:

المبحث الأول: في تفسير البسملة

المبحث الثاني :

تفسير قوله تعالى (الحمدُ للهِ ربِّ العالمِين)

المبحث الثالث:

تفسير قوله تعالى : (الرحمن الرحيم)

المبحث الرابع:

تفسير قوله تعالى: (مالك يوم الدين)

المبحث الخامس:

تفسير قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)

المبحث السادس:

تفسير قوله تعالى: (إهدنا الصراط المستقيم)

المبحث السابع: تفسير قوله تعالى :

((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين))

المبحث الأول: في تفسير البسملة

ويحتوي على مجموعة من المطالب:

المطلب الأول: بيان معاني المفردات في البسملة.

لقد اشتملت آية البسملة على أربعة مفردات، ثلاثةٌ منها تتعلق بأسماء الله تعالى، والمفردة الرابعة – وهي الأولى- لها معنى يرتبط بهذه الأسماء الثلاث، وإليك تفصيل ذلك.

المفردة الأولى : ((بسم)) :

الباء في لفظ (بسم) حرف جرٍ للإلصاق، و (سم) بمعنى (اسم) وحذف الألف لدلالة الباء عليه أو لكثرة استعمالها.

والمعنى : أبتدأ باسم الله، أو قولوا باسم الله . وهذا كما هو واضح معناه الإستعانة بمتعلق الإسم أي أستعين باسم الله أو أبتدأ باسم الله . والصحيح أن الإستعانة تكون بصاحب الإسم والبركة والإبتداء بالإسم.

وأما معنى الإسم: فهو مشتق من السمة، وهي العلامة. أو مشتق من السمو بمعنى الرفعة . ولكن المتعارف عند أهل اللغة إن الإسم هو اللفظ الدال على معنى في نفسه.

وفي تخلل لفظ الإسم بين حرف الباء ولفظ الجلالة إشارة إلى أن ما هو حد الإدراك للإنسان إنما هو ذكر إسمه تعالى والإعتقاد به، مشيراً من حيث الإضافة إلى الذات ، لا أن يحوم أحد حول كشف الحقيقة والذات فإنما لن تدرك لغيره تعالى[1]،[2].

والإسم تارة يكون وصفاً وأخرى لا يكون، فغير الوصف كلفظ الجلالة حيث هو علم للذات الإلهية المقدسة. وأما ما يكون وصفاً فباقي أسمائه تعالى كالرحمن الرحيم، ولذلك يقال: الله الرحمن الرحيم...الخ، ولا يقال العكس ، الرحمن الله.

والإسم الذي يكون وصفاً تارة يكون وصفاً مختصاً به تعالى((كالرحمن)) وأخرى لا يكون وصفاً مختصاً به ((كالرحيم)) ، على ما سوف نبينه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

والإبتداء باسم الله تعالى سواء كان دالّاً على الذات أو الصفة، فإنما هو دلالة على الإنتماء إلى ذلك المسمى، والإستعانة به لنيل البركة، بل للتعبير عن الاعتقاد بأن كل شيء في هذا العالم إنما هو مرتبط به ، ومن خلال التوكل والإستعانة به تعالى سوف يتحقق كل ما هو مطلوب.

---

(١) أقول: يستطيع القلب إدراك المعنى ولكن لا يستطيع إدراك الكنه والذات، ولذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان. وكما في الحديث القدسي: ما وسعتني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن.

(٢) مواهب الرحمن: ج١ ص١٣.

المفردة الثانية : ((الله)) :

((الله)) هو لفظ الجلالة، وهو لفظ مختص به تعالى لا يشاركه معه أحد؛ لأنه علم له تعالى، ولقد ورد هذا الإسم الشريف في القرآن الكريم أكثر من ألفين وخمسمائة مرة.

وقيل بأن أصل لفظ ((الله)) مأخوذ – والمقصود المعنى لا اللفظ، أي الكلام ليس في اشتقاق لفظ الله لأنه جامد لا مشتق وإنما المقصود المعنى – من إلّهَ: أي سكن، لأنه تسكن إليه القلوب والعقول. ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1].

وقيل: إنما سمي ((الله)) كذلك لأن الخلق يألهون إليه ، أي يتوجهون إليه بالعبادة. لأن التأله هو العبادة. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[2].

وقيل: ((الله)) مأخوذ من الوله، وهي الحيرة وذهاب العقل. وكذلك هو حارت فيه العقول ، وتاهت فيه الأفكار، وضلت فيه الأحلام ، يريدون معرفة كنه ذاته وهي بعيدة المنال.

ولذا ورد في الدعاء : ((يا بر يا لطيف ، يا راحم العبد الضعيف ، حارت الأفكار في معرفة عظمتك وفي شكر نعمتك))[3]، وفي دعاء آخر: ((ضلت فيك الصفات ، وتفسخت دونك النعوت ، وحارت في كبريائك لطائف

---

(١) الرعد : ٢٨.

(٢) الرعد: ١٥.

(٣) الصحيفة السجادية الجامعة، تحقيق الابطحي: ص٢٤٢،دعاؤه في بداية كل سنة.

الأوهام))[١]، وفي دعاء ثالث: ((ونفذ في كل شيء علمك ، وحارت الأبصار دونك ، وقصر دونك طرف كل طارف))[٢].

وقيل: ((الله)) مأخوذ من الوله بمعنى الحب فهو معشوق الخلائق، وهو حبيب القلوب لأنه مصدر كل كمال وجمال وبهاء ونور.

وإلى هذا المعنى أشار مولى المتقين وأمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض كلماته: ((الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الأبصار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات))[٣].

وعنه (عليه السلام) كما يرويه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): حدثني أبي ، عن أخيه الحسن ، عن أبيه أمير المؤمنين (عليهم السلام) : ((أن رجلاً قام إليه : فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن بسم الله الرحمن الرحيم ما معناه ؟ فقال : إن قولك : (الله) أعظم إسم من أسماء الله عز وجل، وهو الإسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله، و لم يتسم به مخلوق))[٤].

وعن الإمام محمد الباقر(عليه السلام): ((الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته))[٥].

وعن الإمام الحسن بن علي بن محمد (عليهم السلام) : ((الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه وتقطع الأسباب من جميع من سواه ، تقول : بسم الله أي أستعين على

---

(١) المصدر السابق: ص١٦٨، دعاؤه بعد الفراغ من صلاة الليل.

(٢) المصدر السابق: ص٣٣٨ ،في موقف عرفة.

(٣) التوحيد: ص ٨٩.

(٤) التوحيد: ص ٢٣١.

(٥) المصدر السابق: ٨٩.

أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له ، المغيث إذا استغيث ، والمجيب إذا دعي))[١].

ملاحظة:

ومعنى ((اللهمَّ)) أي يا الله. والإله في الإستعمال بمعنى ((المعبـــود)) أو ((الخالق)) أو ((الرب)) أو ((المطاع)) فكل من اتصف بهذه الأمور يسمى إلهاً سواء كان حقاً أو باطلاً.

ولفظ الجلالة عند العرفاء عبارة عن مرتبة الإلوهية الجامعة بجميع الشؤون والإعتبارات والنعوت والكمالات المندرجة فيها جميع الأسماء والصفات الـــتي ليست إلا لمعات نوره وشؤون ذاته[٢].

النتيجة:

ومن خلال ما مضى نقول: إن ها هنا ذاتاً مقدسةً وهناك أسماءاً مشـــيرة إلى تلك الذات، ولكن المشير يختلف باختلاف معناه ودلالته، ولذلك تعددت الأسماء بتعدد الاشارات لا بتعدد المشار إليه، فان المشار إليه واحد وهو الذات، ولكن تلك الذات لها شؤونات وتجليات فأصبح كل إسم مشيراً إلى إحـــدى تلك الشؤونات والتجليات. ويبقى إسم واحد مجرداً عن كل ذلك وهو لفـــظ الجلالة ((الله)) فإنه مشير إلى الذات بما هي ذات من دون نظر إلى الشؤونات والتجليات، ولذا سمّاه العرفاء بأنه الإسم الجامع باعتباره مشـــيراً إلى الـــذات الجامعة ، أو الحضرة الأحدية التي تجتمع فيها جميع الأسماء والصفات.

---

(١) بحار الانوار: ج ٣ ص ٤١.

(٢) تفسير القرآن: لصدر المتألهين: ج١ ص ٤٥.

فوائد مستظرفة :

الفائدة الأولى : لا شك بأن ثمة إختلافاً بين الإسم والمسمى ، فان الإسم مشير إلى المسمى، والمسمى مشار اليه بالاسم، وليس هناك عينية بين الإسم والمسمى ، فإن الله تعالى شيء- مع المسامحة في التعبير- ولفظ الجلالة ((الله)) شيء آخر، وإلا لو فرضنا أن بينهما عينية لتعدد المسمى بتعدد أسمائه وهو باطل بالضرورة.

ولذلك ورد عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك لأن الحجاب والمثال والصورة غيره، وإنما هو واحد موحد ، فكيف يوحد من زعم أنه عرفه بغيره، إنما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنما يعرف غيره، والله خالق الأشياء لا من شئ، تسمى بأسمائه فهو غير أسمائه والأسماء غيره، والموصوف غير الواصف[1].

وهذا المضمون ورد أيضاً في بعض أدعية الأئمة المعصومين (عليهم سلام الله) ففي دعاء الصباح عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله : ((يا من دلّ على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته))[2]. وكذا في دعاء عرفة لإمامنا الحسين (عليه السلام) : ((كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِما هُوَ فى وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ اِلَيْكَ، اَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ، حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ، مَتى غِبْتَ حَتّى تَحْتاجَ إلى دَليل يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتى تُوصِلُ

(١) التوحيد: ص ١٤٣،ح ٧.

(٢) بحار الانوار: ج٨٤،ص٣٣٩.

اِلَيْكَ))[١]. وكذا في دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) : ((بِكَ عَرَفْتُكَ وَاَنْتَ دَلَلْتَني عَلَيْكَ وَدَعَوْتَني اِلَيْكَ، وَلَوْلا اَنْتَ لَمْ اَدْرِ ما اَنْتَ))[٢].

الفائدة الثانية: ورد في حديث مسند إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة))[٣].

ومعنى (أحصاها) هو الوقوف على معانيها وإدراكها إدراكاً علمياً، وتجسيدها عملياً، بمعنى أن يكون مظهراً لها، أي متخلقاً بها.

والنكتة المهمة هنا هي: إن سورة الحمد قد اشتملت على خمسة أسماء هي: الله، الرب، الرحمن، الرحيم، المالك.

الفائدة الثالثة: هذه الأسماء الإلهية الحسنى التي أشرنا إليها آنفاً تسمى بأسماء الله اللفظية أو الجعلية . وهناك نحو آخر من الأسماء لله تعالى ليست لفظية، وإنما هي أسماء تكوينية، وتتجلى هذه الأسماء ببعض ممكناته ومخلوقاته عز وجل، والتي تدل بوجودها على وجود خالقها وعلى توحيده [٤].

وبعبارة أدق: غن الأسماء اللفظية ما هي إلا كلمات تشعر وتدل على صفاتٍ جلالية أو جمالية ذاتية ، أو صفات فعلية كالأسماء الحسنى.

وأما الأسماء التكوينية فهي مظاهر تكوينية عينية لصفات الله تعالى، وهي موجودات مجردة من العقول والنفوس والروحانيات وهي مرايا صفاته تعالى.

---

(١) المصدر السابق :ج٦٤،ص١٤٢.

(٢) المصدر السابق : ج٩٥،ص٨٢.

(٣) التوحيد: ص ١٤٣،ح ٨.

(٤) البيان في تفسير القرآن: ص٤٣٤.

ولا يخفى أن الأسماء التكوينية أعلى وأظهر من جهة الإراءة والمظهرية والمرآتية من الأسماء اللفظية.

ولهذا المعنى أشار العلامة المحقق السيد الخوئي (قدس سره) بقوله: ففي كل شيء دلالة على وجود خالقه وتوحيده، وكما تختلف الأسماء الإلهية اللفظية من حيث دلالتها، فيدل بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال، ويدل بعضها على جهة خاصة من كمالاتها على اختلاف في العظمة والرفعة، فكذلك تختلف الأسماء التكوينية من هذه الجهة، وإن اشترك جميعها في الكشف عن الوجود والتوحيد، وعن العلم والقدرة وعن سائر الصفات الكمالية . ومنشأ اختلافها : أن الموجود إذا كان أتم كانت دلالته أقوى ، ومن هنا صح إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمة الهداة (عليهم السلام)، كما في بعض الروايات[1].

نعم إن من أجلى وأظهر تلك الأسماء التكوينية هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، كما أشار إمامنا أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((إنّا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا، وآياته الكبرى))[2].

وفي حديث آخر يقول (عليه السلام): ((نحن الإسم المكنون، نحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عز وجل بها أجاب، نحن الأسماء المكتوبة على العرش))[3].

---

(١) المصدر السابق: ص ٤٣٣.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ج٩ ص ٣١٨.

(٣) بحار الانوار: ج٢٧ ص٣٨.

وفي زيارة مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) دلالة بينة على ذلك: ((السلام على اسم الله الرضي، ووجهه المضيء))[١].

وعن إمامنا الرضا (عليه السلام) قوله: ((إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله : ﴿وَلِلَّهِ الأسماء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾))[٢]،[٣].

وكذا ورد عن إمامنا الصادق (عليه السلام) قوله : ((نحن والله الأسماء الحسنى، الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا))[٤].

المفردة الثالثة والرابعة : ((الرحمن ، الرحيم)) وفيهما ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: إسم الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة، حيث ترتبط بالجذر اللغوي (رحم) والرحمة تأتي في اللغة لعدة معانٍ :

منها : (الرقة والعطف) ومنها (المغفرة) ومنها (الشفقة) ومنها (الرفق) ومنها (الحب). وغير ذلك من المعاني التي يمكن إجتماعها بما يدل على الإستمالة والميل بدواع عاطفية معينة سواء كانت لإنسان أو غيره.

النقطة الثانية: في الفرق بين (الرحمن) و (الرحيم) :

يؤكد علماء اللغة إن (الرحمن والرحيم) مشتقان من مادة لغوية واحدة وهي الرحمة، فكلا اللفظين يدلان عليها، ولكن إسم الرحمن مختص به عزّ وجل فلا يطلق على غيره، في حين إن إسم الرحيم يمكن أن يطلق عليه وعلى غيره، وعلى هذا الأساس أصبح إسم الرحمن علماً مختصاً به تعالى.

---

(١) المزار، للمشهدي: ص٢٠٩ .

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٥ ص ١٧٧.

(٤) المصدر السابق .

ومعنى الرحيم في اللغة هو ذو الرحمة الكثيرة، أي مبالغة في الرحمة. ولا يوجد أرحم من الله تعالى على خلقه ولذلك سمّي رحيماً، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]، وكذلك فان النبيَّ (صلى الله عليه وآله) من أشد الناس رحمة على الناس كما وصفه تعالى بقوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

وقيل: إن الله تعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة؛ وذلك لأن إحسانه في الدنيا يعمّ المؤمنين والكافرين، وأما في الآخرة فهو يختص بالمؤمنين[3].

ومن هنا لابد من التفريق بين ما يصطلح عليه في كلمات العرفاء بالرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية، ويقصدون بالأولى هو إفاضة الوجود على الأشياء وإبقائها وإكمالها بالكلمات اللائقة بها وبما ينسجم مع وجودها الملكي والملكوتي.

وهذا بخلاف الرحمة الرحيمية فإنها مختصة بالإنسان ومن كان مثله سالكا إلى الرحمن وبحال كونه على رضاه.

ولقد دلت على الفرق بين الرحمتين جملة من الروايات منها:

ما عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) عن ((بسم الله الرحمن الرحيم)) فقال: ((الله : إله كل شيء. الرحمن: بجميع خلقه . الرحيم: بالمؤمنين خاصة))[4].

---

(١) البقرة: ١٨٢.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص٣٤٧.

(٤) الكافي : ج١،ص١١٤.

وعن الصدوق بإسناده إلى الإمام العسكري (عليه السلام) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: ((الرحمن : الذي يرحم ببسط الرزق علينا، والعاطف على خلقه بالرزق لا يقطع عنهم موادّ رزقه وإن انقطعوا عن طاعته، والرحيم : بنا في أديانا ودنيانا وآخرتنا، خفف علينا الدين وجعله سهلاً حنيفاً، هو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه))[١].

النقطة الثالثة: الوجه في تقدم إسم الرحمن على الرحيم ؟

قال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان: وإنما قدم الرحمن على الرحيم لأن وصفه بالرحمن بمنزلة الإسم العلم من حيث لا يوصف به إلا الله تعالى، فصار بذلك كاسم العلم في إنه يجب تقديمه على صفته.

وورد الأثر بذلك روى أبوسعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله): ((إن عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة))[٢].

وهناك وجه آخر وهو : إن إسم الرحمن كما أسلفنا دال على أن رحمته عامة لكل الموجودات بإفاضة الوجود وكمالات الوجود عليها بما يوصلها إلى كمالها التكويني، فهي رحمة شاملة.

وأما إسم الرحيم فإنه خاص لبعض خلقه كما قال الله عز وجل : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

فهذه الرحمة خاصة بفئة خاصة من الناس وهم المؤمنون.

---

(١) تفسير الإمام العسكري (ع) :ص٢٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن : ج١،ص٢٨.

(٣) الأعراف : ١٥٦.

وعلى هذا الإساس صحّ تقديم العام على الخاص، فكأنه يقول: أنا الرحمن لكل الموجودات والرحيم بالمؤمنين.

المطلب الثاني: الفرق بين الرحمة التكوينية والرحمة التشريعية.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن تقسيم معنى الرحمة الإلهية إلى قسمين: رحمة تكوينية ورحمة تشريعية.

أما الرحمة التكوينية: فالمقصود منها المتعلقة بإفاضة الوجود وكمالات الوجود على الموجودات وإخراجها من ظلمة العدم إلى نور الوجود، أو من النقص إلى الكمال.

وهناك جملة من الآيات المرتبطة بهذا المجال كقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1]، وكذا قوله عز وجل : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[2].

وأما الرحمة التشريعية: فالمقصود بها رحمة الله تعالى المرتبطة بهداية الناس ونجاتهم في الدنيا والآخرة، من إستجابة الدعاء وشفاء المرضى وقضاء الحوائج وإنزال الكتب السماوية وإرسال الرسل وجعل أسباب الهداية والفوز، بل حتى الأخلاق والفضائل التي خص الله تعالى بعض أوليائه فإنما هو لأجل رحمته بالناس.

---

(١) القصص: ٧٣.

(٢) الأعراف : ٥٧.

وقد أشارت عدة من الآيات الكريمة إلى هذه المسألة منها :

قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]، وكذا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، وقوله تبارك اسمه : ﴿وَإِذا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أو الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأمر مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

ومن هنا نعلم : إن إسم الله (الرحمن) داخل في الرحمة التكوينية، وإسم الله(الرحيم) داخل في الرحمة التشريعية، وهذا أحد الفروقات المهمة التي توصلنا إليها من خلال التدبر في كتاب الله تعالى.

المطلب الثالث: مفهوم الرحمة عند الله تعالى وعند الإنسان.

مما ينبغي الإلتفات إليه أن هناك فرقاً بين الرحمة عند الله تعالى وبين الرحمة عند الإنسان؛ وسبب هذا الاختلاف أن صفات الله عز وجل – وهو واجب الوجود – تختلف كلياً عن صفات غيره من الممكنات والمخلوقين. فالرحمة عند الإنسان هي غريزة عاطفية تحصل بطريقة فطرية لا يعرف مصدرها ، بل قد يكون الأمر كذلك حتى بالنسبة إلى الحيوانات.

وأما الرحمة عند الله عز وجل فلها شكل آخر أعمق بكثير من مجرد العاطفة والإنفعال النفساني– وهما أمران لا يثبتان في واجب الوجود بل هما من

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) البقرة : ٦٤.

(٣) النساء :٨٣.

شؤون بعض الممكنات المخلوقة كالإنسان والحيوان- وإنما هي الإحسان المجرد عن تلك العوارض، فهو المحسن ولكن هو المفيض لما به يتحقق الإحسان. وهو المتكرم والمعطي وهو الذي أفاض الخير كله.

ومن هنا لابد من الوقوف على المعنى الكبير لإسم (الرحمن الرحيم) لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[1]، فما هذه الرحمة التي وسعت كل شيء ؟ فان معنى (كل شيء) شامل لكل الوجود وشامل لكل الموجودات، فكل الوجود والموجود مشمول برحمة الله تعالى.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[2]، وقد ألزم الله تعالى ذاته المقدسة بهذه الرحمة بإحسانه وتفضله حين قال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[3]، الأمر الذي يوحي بكون الرحمة تكاد تكون إحدى صفاته الذاتية التي لا تنفك عنه بحال من الاحوال، كما يشعر به العذاب المعلّق على المشيئة الإلهية دون رحمته عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[4]، كما نوّه اليه العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان حيث قال : قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ قيد الله سبحانه إصابة عذابه بقوله: "من أشاء" دون سعة رحمته، لأن العذاب إنما ينشأ من إقتضاء من قبل المعذبين لا من قبله سبحانه، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ

---

(١) غافر: ٧.

(٢) الأعراف : ١٥٦ .

(٣) الأنعام : ١٢ .

(٤) الأعراف : ١٥٦ .

وَآمَنتُمْ ﴾[١]، وقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢]، فلا يعذب الله سبحانه بإقتضاء من ربوبيته، و لو كان كذلك لعذب كل أحد، بل إنما يعذب بعض من تعلقت به مشيئته فلا تتعلق مشيئته إلا بعذاب من كفروا نعمه، فالعذاب إنما هو باقتضاء من قبل المعذبين لكفرهم لا من قبله[٣].

المطلب الرابع: عظمة آثار البسملة:

روى الشيخ الكليني في الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : ((قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) : من قال : " (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم " ثلاث مرّات، كفاه اللّه تعالى تسعة وتسعين نوعاً من أنواع البلاء، أيسرها الخنق))[٤].

وروى البرقي في المحاسن عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : ((من قال : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم " ثلاث مرّات حين يصبح وثلاث مرّات حين يمسي لم يخف شيطاناً ولا سلطاناً ولا جذاماً ولا برصاً . قال أبو الحسن (عليه السلام): وأنا أقولها مائة مرّة))[٥].

عن الإمام العسكري (عليه السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : ((دخل عبد اللّه بن يحيى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين يديه

---

(١) النساء : ١٤٧ .

(٢) إبراهيم : ٧ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن ج٨،ص٢٧٤ .

(٤) الكافي:ج٨ ،ص١٠٩،ح٨٩.

(٥) المحاسن: ج١،ص٤١،ح٥١.

كرسي، فأمره بالجلوس عليه، فجلس عليه فمال به حَتَّى سقط على رأسه فأوضح عن عظم رأسه وسال الدم، فأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بماء فغسل عنه ذلك الدم، ثمّ قال : ادن منّي، فوضع يده على موضحته، وقد كان يجد من ألمها ما لا صبر له معه، ومسح يده عليها وتفل فيها، فما هو أن فعل ذلك حَتَّى اندمل فصار كأنّه لم يصبه شيء قطّ . ثمّ قال أمير المؤمنين (صلوات اللّه عليه) : يا عبد اللّه ! الحمد للّه الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنهم، لتسلم لهم طاعاتهم ويستحقّونها ثوابها .

فقال عبد اللّه بن يحيى : يا أمير المؤمنين ! وإنّا لا نجازي بذنوبنا إلاّ في الدنيا ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر ! ؟ إنّ اللّه يطهّر شيعتنا من ذنوبهم في الدنيا بما تبليهم به من المحن، وبما يغفر لهم . . . فقال عبد اللّه بن يحيى : يا أمير المؤمنين ! قد أفدتني وعلّمتني، فإن أردت أن تعرّفني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس، حَتَّى لا أعود إلى مثله ؟ قال (عليه السلام) : تركك حين جلست أن تقول : " (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) " ، فجعل اللّه ذلك لسهوك عمّا ندبت إليه، تمحيصاً بما أصابك، أما علمت أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حدّثني عن اللّه عزّ وجلّ أنّه قال : كلّ أمر ذي بال لم يذكر " بسم اللّه " فيه فهو أبتر . فقلت : بلى ، بأبي أنت وأمّي ! لا أتركها بعدها . قال : إذاً تحصن بذلك وتسعد . ثمّ قال عبد اللّه بن يحيى : يا أمير المؤمنين ! ما تفسير " (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) " ؟ قال: إنّ العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً فيقول " بسم اللّه " أي بهذا الإسم أعمل هذا العمل،

فكلّ أمر يعمله يبدأ فيه بـ " (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) " فإنّه يبارك له فيه))[١].

وفي بعض الكتب عن مولانا الصادق عليه السّلام : ((من كانت له حاجة كلية فليكتب في رقعة : ((بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)) من عبده الذليل إلى ربه الجليل « رب إِنِي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » وليطرحها في نهر عظيم قائلا : اللهم بمحمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المرضيين، إقض حاجتي يا أرحم الراحمين، وليذكر حاجته، فإنه تقضى إن شاء اللّه تعالى))[٢].

وروى الشيخ الكليني عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:((إذا صليت المغرب والغداة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم – سبع مرات – فإنه من قالها لم يصبه جذام ولا برص ولا جنون ولا سبعون نوعاً من أنواع البلاء))[٣].

فوائد مستظرفة :

الفائدة الأولى: لقد ورد في حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله): ((ان كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر))[٤].

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((إن الله يقول : فأنا أحق من سُئل وأولى من تُضرع اليه، فقولوا عند إفتتاح كل أمر صغير أو عظيم بسم الله الرحمن الرحيم))[٥].

---

(١) تفسير الإمام العسكري : ص٢٣.

(٢) تفسير الصراط المستقيم: ج٣،ص٢٩٦.

(٣) الكافي:ج٢،ص٥٢٨،ح٢٠.

(٤) بحار الانوار: ج٧٣ ص٣٠٥ ، ح١.

(٥) التوحيد: ص٢٣٢ .

الفائدة الثانية: ان هذه الروايات تريد أن تؤكد إن إسم الله فيه البركة الحقيقية الواقعية وأن العمل الذي نضفي عليه صيغة إسم الله وعطره فهو العمل الباقي الذي له الدوام والخلود. ولذا ورد في الدعاء المعروف: ((بسم الله خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والماء، بسم الله الذي لا يضر معه سم ولا داء))[1].

ومن الشواهد المروية في تأكيد أثر البسملة وعظمتها ما ورد في قصة الذراع المسمومة التي قدمتها إمرأة يهودية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد فتح خيبر وإليك نصها، كما يرويها الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) : ((وأما كلام الذراع المسمومة فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما رجع من خيبر إلى المدينة وقد فتح الله له جاءته امرأة من اليهود قد أظهرت الايمان، ومعها ذراع مسمومة مشوية وضعتها بين يديه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما هذه ؟ قالت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله همني أمرك في خروجك إلى خيبر، فإني علمتهم رجالاً جلداً، وهذا حمل كان لي ربيبة أعده كالولد لي، وعلمت أن أحب الطعام إليك الشواء، وأحب الشواء إليك الذراع، ونذرت لله لئن سلمك الله منهم لأذبحنه ولأطعمنك من شوائة ذراعيه، والآن فقد سلمك الله منهم وأظفرك عليهم ، وقد جئتك بنذري ، وكان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) البراء بن معرور وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إيتوني بالخبز، فأتي به فمد البراء بن المعرور يده وأخذ منه لقمة فوضعها في فيه، فقال علي بن أبي طالب

---

(١) بحار الانوار: ج٨٣ ص ٣١٤ .

(عليه السلام): يا براء لا تتقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال البراء وكان أعرابيا: يا علي كأنك تبخّل رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) ؟ ! فقال علي (عليه السلام): ما أبخّل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولكني أبجله وأوقره، ليس لي ولا لك ولا لأحد من خلق الله أن يتقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقول ولا فعل ولا أكل ولا شرب، فقال البراء: ما أبخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال علي (عليه السلام) ما لذلك قلت، ولكن هذا جاءت به هذه وكانت يهودية، ولسنا نعرف حالها، فإذا أكلته بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو الضامن لسلامتك منه، وإذا أكلته بغير إذنه وكلت إلى نفسك.

يقول علي (عليه السلام) : هذا والبراء يلوك اللقمة، إذ أنطق الله الذراع فقالت : يا رسول الله لا تأكلني فإني مسمومة، وسقط البراء في سكرات الموت و لم يرفع إلا ميتا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إيتوني بالمرأة فأتي بها، فقال: ما حملك على ما صنعت ؟ فقالت: وترتني وتراً عظيماً ، قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي وإبني، ففعلت هذا وقلت: إن كان ملكاً فسأنتقم منه، وإن كان نبياً كما يقول وقد وعد فتح مكة والنصر والظفر فيمنعه الله منه ويحفظه ولن يضره، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أيتها المرأة لقد صدقت، ثم قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا يغرك موت البراء فإنما امتحنه الله لتقدمه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولو كان بأمر رسول الله أكل منه لكفي شره وسمه، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أدع لي فلاناً وفلاناً، وذكر قوماً من خيار أصحابه، فيهم سلمان والمقداد وأبو ذر وعمار

وصهيب وبلال وقوم من سائر الصحابة تمام عشرة وعلي (عليه السلام) حاضر معهم، فقال: أقعدوا وتحلقوا عليه، ووضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده على الذراع المسمومة ونفث عليه، وقال : " بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي ، بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء ولا داء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم " ثم قال: كلوا على إسم الله، فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكلوا حتى شبعوا، ثم شربوا عليه الماء، ثم أمر بها فحبست، فلما كان اليوم الثاني جاء بها فقال: أليس هؤلاء أكلوا ذلك السم بحضرتك ؟ فكيف رأيت دفع الله عن نبيه وصحابته ؟ فقالت: يا رسول الله كنت إلى الآن في نبوتك شاكة، والآن قد أيقنت أنك رسول الله حقاً، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله وحسن إسلامها))[1].

ومن خلال هذه الحادثة نفهم – كما هو واضح – إن لإسم الله تعالى تأثيراً كبيراً في رفع الأخطار ودفع البلاء.

الفائدة الثالثة: قال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[2]، وهذه الآية تفيد أن حِلّية أية ذبيحة منوطة بذكر إسم الله تعالى عليها، وإنها تعتبر مِيتَةً إذا لم يذكر الذابح إسمَ الله تعالى على الذبيحة.

وهذا التعليم والتوجيه الإلهي من أكبر الرحمات الإلهية علينا أبناء البشر، فانه قد ثبت علمياً أن الحيوان الذي يذبح بغير التسمية سوف يتعرض للتفسخ

---

(١) بحار الانوار: ج١٧ ص٣١٨.

(٢) الانعام : ١٢١.

العضوي بشكل أسرع كثيراً من الحيوان الذي يذكر عليه إسم الله عز وجل، مضافاً إلى كونه محلاً للجراثيم والتلوث[١]، وهذا يدلل على إن لإسم الله تعالى آثاراً تكوينية كبيرة جداً.

المطلب الخامس: أحكام البسملة.

توجد مجموعة من الأحكام الشرعية المرتبطة في موضوع البسملة يمكن ملاحظتها والوقوف عندها لأهميتها، خصوصاً إن البعض منها يأخذ صفة الوجوب في بعض الفرائض الأمر الذي يتأكد التنبيه عليه.

ومن هنا كان لزاماً علينا الإشارة إلى بعض هذه الأحكام والتي يمكن إجمالها بما يلي:

الحكم الاول: إن بسم الله الرحمن الرحيم جزء من كل سورة في القرآن عدا سورة براءة التي هي سورة التوبة.

فعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((البسملة في أول كل سورة آية منها، وإنما كان يعرف انقضاء السورة بنزولها إبتداء للأخرى ، وما أنزل الله تعالى كتاباً من السماء إلا وهي فاتحته))[٢].

وأخرج أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس : ((إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان لا يعرف فصل السورة- أي انقضاءها- حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم))[٣].

---

(١) أنظر بعض الدراسات العلمية والمختبرية التي توصلت إلى نتائج علمية أبهرت العلماء توضح بشكل علمي مختبري كون الحيوان الذي يذبح مع التسمية يختلف عن غيره مما لم يسم عليه: albrins.mam9.com .

(٢) تفسير الصافي ج١،ص٨٢ ؛ تفسير مواهب الرحمن ج١،ص٢١.

(٣) فتح القدير :ج١،ص١٧.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: سرقوا أكرم آية من كتاب الله بسم الله الرحمن الرحيم))[١].

ومن هنا أكد مشهور الفقهاء على أنه يجب تعيين السورة قبل البسملة، ولا يصح قراءة البسملة ثم يعين السورة لأنه لكل سورة بسملتها فإذا نسي وجاء بها قبل التعيين يجب إعادتها[٢].

الحكم الثاني : يستحب استحباباً مؤكداً الجهر بالبسملة، وقد دلت على ذلك جملة من الروايات منها:

ما في تفسير القمي عن ابن أذينه قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام): " بسم الله الرحمن الرحيم " أحق ما أجهر به وهي الآية التي قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[٣]،[٤].

بل ورد عنه (عليه السلام): ((أن الإجهار بها في الصلوات واجب))[٥]، والمراد بالوجوب هنا التأكيد على استحبابها.

وروى العياشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضا قوله: ((مالهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم))[٦].

---

(١) تفسير العياشي : ج ١ ،ص١٩.

(٢) أنظر : العروة الوثقى ج٢ ص٥٠٢ ، مع تعليقات جملة من الفقهاء الذين أفتوا بالوجوب أو الاحتياط في تعيين السورة والبسملة.

(٣) الإسراء :٤٦.

(٤) تفسير القمي : ج١،ص٢٨.

(٥) التفسير الصافي:ج١،ص٨٢.

(٦) تفسير العياشي : ج ١ ، ص ٢١ ، ح ١٦.

الحكم الثالث: يستحب كذلك قراءة البسملة في كل حالات الإنسان في الأكل والشرب والنوم والصعود والنـــزول والكلام وغيره.

فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) : ((إذا قال العبد عنـــد منامـــه: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الله: يا ملائكتي اكتبـــوا لـــه الحســـنات إلى الصباح))[١].

وفي المحاسن للبرقي عن مولانا الصادق (عليه السلام) قال: ((إذا توضـــأ أحدكم أو أكل أو شرب أو لبس لباساً ينبغي له أن يسمّي عليه فإن لم يفعـــل كان للشيطان فيه شرك))[٢].

وعنه (عليه السلام) انه قال : ((إن رجلاً توضأ وصلى فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أعد صلاتك ووضوءك ففعل فتوضأ وصلى فقال النبي صلى الله عليه وآله : أعد وضوءك وصلاتك ، ففعل وتوضأ وصلى فقـــال : أعد وضوءك وصلاتك ، فأتى أمير المؤمنين (عليه السلام) فشكا ذلـــك إليـــه فقال: هل سميت حيث–حين– توضأت ؟ قال لا قال : فسم على وضـــوئك فسمى وتوضأ وصلى وأتى النبي (صلى الله عليه وآله) فلم يأمره أن يعيد))[٣].

قال الشيخ الطوسي (قدس سره) معلقاً : فالوجه في هذا الخبر أن تحمـــل التسمية فيه على النية التي قدمنا وجوبها ، فأما ما عداها من الألفاظ فإنما هـــي مستحبة دون أن تكون واجبة فرضاً ، والذي يدل على ذلك قولـــه (عليـــه السلام) في الخبر الأول: (إن من لم يسم طهر من جسده ما مرّ عليه الماء) فلو

---

(١) تفسير الصراط المستقيم: ج٣،ص٢٩٠.

(٢) المحاسن: ج٢،ص٤٣٠.

(٣) تهذيب الاحكام: ج١،ص٣٥٨،ح٥.

كانت فرضا لكان من تركها لم يطهر شئ من جسده على حال لأنه لا يكون قد تطهر))[١].

وفي الكافي للكليني (قدس سره) عن الصادق (عليه السلام) أيضاً قال: ((إذا أكلت الطعام فقل : " بسم الله في أوله وآخره " فإن العبد إذا سمى قبل أن يأكل لم يأكل معه الشيطان وإذا لم يسم أكل معه الشيطان فإذا سمى بعد ما يأكل وأكل الشيطان معه تقيأ الشيطان ما كان أكل))[٢].

وفي المحاسن للبرقي عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : ((من خرج وحده في سفر فليقل : " ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم آنس وحشتي وأعنى على وحدتي ، وأد غيبتي " قال : ومن بات في بيت وحده، أو في دار أو في قرية وحده ، فليقل : " اللهم آنس وحشتي وأعنى على وحدتي ".

قال : وقال له قائل : إني صاحب صيد سبع ، وأبيت بالليل في الخرابات ، والمكان الوحش ، فقال : إذا دخلت فقل : " بسم الله " وأدخل رجلك اليمنى ، وإذا خرجت فأخرج رجلك اليسرى وقل : " بسم الله " فإنك لا ترى مكروهاً إن شاء الله))[٣].

وفي بحار الأنوار: سئل النبي (صلى الله عليه وآله) : هل يأكل الشيطان مع الإنسان؟ فقال : ((نعم كل مائدة لم يذكر بسم الله عليها يأكل الشيطان معهم ، ويرفع الله البركة عنها))[٤].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الكافي:ج٦،ص٢٩٤،ح١١.

(٣) المحاسن:ج٢،ص٣٧٠،ح١٢٢.

(٤) بحار الانوار: ج٨٩،ص٢٥٨.

وفي الكافي: عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إذا ركب الرجل الدابة فسمي ردفه ملك يحفظه حتى ينـــزل، وإذا ركب و لم يسم ردفه شيطان فيقول له : تغن فإن قال له : لا أحسن قال له : تمن فلا يزال يتمنى حتى ينـــزل ، وقال : من قال إذا ركب الدابة " بسم الله لا حول ولا قوة إلا بالله " الحمد لله الذي هدانا لهذا " الآية و " سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ " حفظت لـــه نفســـه ودابتـــه حـــتى ينـــزل))[1].

بل عن مولانا الصادق (عليه السّلام) : ((لا تدع بسم اللَّه وإن كان بعده بيت من الشعر))[2].

إلى غير ذلك من الأخبار الآمرة بها عموماً وخصوصاً عند كل فعل ممـــا سمعت، وغيرها من حقير أو خطير ، يسيراً وكثيراً.

المطلب السادس: تفسير البسملة في مـــأثورات أهـــل البيـــت(عليهم السلام).

لقد تضافرت الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم الســـلام) في تفسير وتأويل وبيان البسملة ومفرداتها بل ومعاني حروفها أيضاً، الأمر الـــذي يكشف عظمة علومهم ودقتها، وإن كنّا نعتقد أن هذا ليس غريباً في حقهـــم بعد كونهم (عليهم السلام) الأدلّاء على الله تعالى وأبواب علمـــه وحكمتـــه والعالمين بدينه ومَن نزل في بيوتهم كتابه وآياته، وقديماً قالوا : (أهـــلُ الـــدار أدرى بمن في الدار) .

---

(١) الكافي:ج٦،ص٥٤٠،ح١٧.

(٢) المصدر السابق: ج٢،ص٦٧٢،ح١

ومن هنا يمكن ملاحظة ما نورده بعد قليل من أخبار وروايات وقفت عند دقائق المعاني في مفردات البسملة وحروفها، الأمر الذي يوجب التدبر في كلمات الله تعالى وآياته والإستزادة من نورها وبركتها.

وقد آثرنا عدم التعليق على هذه الروايات الكريمة طلباً للإجمال وإبتعاداً عن التعقيد أو البيان الذي لا يرقى لكلماتهم (عليهم السلام) في دقة التعبير وبلاغة التفهيم، وإليك نصها .

روى ابن عباس عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه شرح له في ليلة واحدة من حين أقبل ظلامها حتى أسفر صباحها في شرح الباء من " بسم الله" و لم يتقدم إلى السين وقال : لو شئت لأوقرت أربعين بعيراً من شرح " بسم الله))[1].

روى الشيخ الصدوق(قدس سره) في كتابه التوحيد في باب معنى "بسم الله الرحمن الرحيم" عن الحسن بن علي بن محمد (عليهم السلام) أنه قال: قام رجل إلى علي بن الحسين (عليه السلام) فقال: أخبرني عن معنى (بسم الله الرحمن الرحيم). فقال علي بن الحسين (عليهما السلام): حدثني أبي عن أخيه الحسن (عليه السلام)، عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، إن رجلاً قام إليه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن "بسم الله الرحمن الرحيم" ما معناه ؟ فقال: إن قولك ((الله)) أعظم إسم من أسماء الله عز وجل، فهو الإسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله و لم يتسم به مخلوق. فقال الرجل: ما تفسير قول((الله)) تعالى؟ قال: هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من هو دونه، وتقطع الأسباب من كل من سواه، وذلك أن

(١) بحار الأنوار: ج٤٠،ص١٨٦.

كل مترأس في هذه الدنيا ومتعظم فيها وان عظم غناءه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه إليه فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها فينقطع إلى الله عند ضرورية وفاقته حتى إذا كفى همه عاد إلى شركه أما تسمع الله عز وجل يقول: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أو أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ** بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[1].

فقال الله جل جلاله لعباده : أيها الفقراء إلى رحمتي إني قد ألزمتكم الحاجة إلي في كل حال وذلة العبودية في كل وقت، فإلي فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته، فإني إن أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطاءكم، فأنا أحق من سئل وأولى من تضرع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو كبير ((بسم الله الرحمن الرحيم)) أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا يحق العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أديانا ودنيانا وآخرتنا، خفف علينا الدين وجعله سهلاً حنيفاً، وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه.

ثم قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حزنه أمر تعاطاه فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم" وهو مخلص لله يقبل بقلبه إليه لم ينفك من إحدى

---

(١) الانعام: ٤٠-٤١.

اثنتين، إما بلوغ حاجة في الدنيا وإما يعد له عند ربه ويدخر لديه ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[١] للمؤمنين[٢].

وكذا روى الشيخ الصدوق عن علي بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه، قال : سألت الرضا علي بن موسى (عليهما السلام)، عن بسم الله، قال: ((معنى قول القائل: (بسم الله) أي أسم على نفسي سمة من سمات الله عز وجل وهي العبادة قال : فقلت له : ما السمة ؟ فقال : العلامة))[٣].

وعن عبد الله بن سنان ، قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : ((الباء بهاء الله ، والسين سناء الله، والميم مجد الله. وروي بعضهم : ملك الله ، والله إله كل شيء ، الرحمن بجميع خلقه ، والرحيم بالمؤمنين خاصة))[٤].

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) : أنه سئل عن "بسم الله الرحمن الرحيم " فقال: ((الباء بهاء الله ، والسين سناء الله ، والميم ملك الله ، قال : قلت : الله ؟ قال : الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا ، واللام إلزام الله خلقه ولايتنا ، قلت : فالهاء ؟ قال : هوان لمن خالف محمداً وآل محمد (صلوات الله عليهم) ، قال : قلت : الرحمن ؟ قال : بجميع العالم ، قلت : الرحيم ؟ قال : بالمؤمنين خاصة))[٥].

---

(١) الشورى:٣٦.

(٢) التوحيد: ص٢٣٢ .

(٣) التوحيد:ص٢٣٠

(٤) المصدر السابق: ص٢٣٠.

(٥) المصدر السابق.

هذه جملة من الروايات التي رواها الشيخ الصدوق (ره) في كتابه التوحيد عن أئمة الهدى وأهل بيت النبوة والتقى وقد لاحظنا دقة ما في هذا التفسير أو التأويل من معان دقيقة وإشارات عزيزة ولطيفة لقول الله وكلامه وهو (بسم الله الرحمن الرحيم).

المبحث الثاني :

تفسير قوله تعالى (الحمدُ للهِ ربِّ العالمِين)

بعد أن تحدثنا بشكل تفصيلي عن تفسير البسملة من سورة الفاتحة، والتي هي جزء من كل سورة قرآنية مباركة إلا سورة براءة (التوبة)، نريد أن نواصل البحث في تفسير بقية آيات هذه السورة الشريفة.

والآية الأولى بعد البسملة هي قوله تعالى: ﴿ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ﴾. ونريد أن نقف على جملة من الحقائق المعرفية المرتبطة بهذه الآية الكريمة وذلك من خلال بيان جهتين:

الجهة الأولى : مفردات الآية الكريمة:

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على أربع مفردات نريد التعرف عليها قبل الخوض في الآية بمعناها الجامع.

المفردة الأولى : ((**الحمدُ**)) : قال الشيخ البلاغي (قدس سره) : الحمد ثناء بالخير معروف يضعه المتكلم بحسب مرتكزاته في اللغة مواضعه ويعرف معناه بمزاياه ويفرق بينه وبين ما يقارنه في الإستعمال والفهم . ولكن الإضطراب يجيء من ناحية التفسير فمن قائل انه أخو المدح أي مرادفه .

ومنهم من فسره بالشكر مستشهداً بقولهم : الحمد للَّه شكراً . جاعلاً قولهم : ((شكراً)) مفعولاً مطلقاً لا مفعولاً لأجله . ومنهم من قال إن الحمد والمدح والشكر متقاربة . ومنهم من جعله على صفات المحمود الذاتية وعلى عطائه . ومنهم من خصه بالثناء على الفعل الجميل الإختياري .

والظاهر من التدبر في موارد الإستعمال والتبادر أن الحمد هو الثناء باللفظ بالخير على فعل الجميل الاختياري، إذا كان للجميل نحو مساس بالحامد وإلا فهو مدح . وأما الشكر، فهو مقابلة الإحسان بنوع إحسان يتضمن الاعتراف سواء كان عملاً أو قولاً ولو بنحو من الإعتراف بذلك الإحسان وفضله لا مجرد الإعتراف بذات الفعل لا من حيث أنه إحسان وتفضل[1].

أقول: وكيف كان فإن الحمد في اللغة هو نقيض الذّم، وهناك فرق بين الحمد والمدح، وكذلك هناك فرق بين الحمد والشكر. فان الحمد لا يكون إلا على صدور إحسان من قبل الغير يستحق به الحمد، بينما المدح ليس كذلك، ولذا فان الحمد لا يكون إلا على الفعل الاختياري، في حين المدح يمكن ان يكون على الفعل الاختياري وغيره أيضاً، ولذا فنحن نمدح اللؤلؤة الجميلة والوردة المزهرة في حين لا نحمدها.

وأما الفرق بين الحمد والشكر، فان الشكر هو عرفان الإحسان ونشره، والشكر لا يكون إلا عن يد – أي نعمة ينعمها صاحبها – والحمد يكون عن يد وعن غير يد أيضا.

---

(١) آلاء الرحمن في تفسير القرآن : ص٥٤.

والشكر يقابل الكفر، وبما أن الكفر هو نكران النعمة فالشكر هو إظهارها. وقد يختلط الأمر على الكثير فلا يميز بين الحمد والمدح والشكر كما مرّ سابقا.

المفردة الثانية : ((**الله**)) : لقد تقدم الكلام فيها عند تفسير البسملة فلا نعيد.

المفردة الثالثة : ((**ربِّ**)) : يطلق لفظ الرّب في اللغة ويراد منه عدة معان ، ولكن تشترك جميعها في معنى جامع. فالرب معناه : (المالك أو الصاحب)، كما في قول عبد المطلب جدّ النبي(صلى الله عليه وآله) في قصة إبرهه الحبشي حيث قال: ((أنا ربُّ الإبل وللبيتِ ربٌّ يحميه))[١]. وكذلك يطلق ويراد به (السّيد) كما في قوله تعالى: ﴿**فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا**﴾[٢]، أي يسقي سيّدَهُ المِلك[٣]. وكذلك من بين معاني الرّبّ هو (المصلح) كما نقول : ربّ الشيء إذا أصلحه، ومنه قيل : فلان ربّ ضيعة إذا كان يحاول إتمامها ، والربانيون من هذا حيث كانوا مدبرين لهم .

واشتق ربّ من التربية يقال : ربيته وربّيته بمعنى واحد ، والرّبى : الشاة ولدت حديثاً لأنّها تربى . وقوله : ((رَبِّ الْعَالَمِينَ)) أي المالك لتدبيرهم ، والمالك للشيء يسمّى ربّه ، ولا يطلق هذا الإسم إلاّ على الله ، وأمّا في غيره فبقيد فيقال : ربّ الدار ، وربّ الضيعة[٤].

---

(١) أضواء البيان : ج٩،ص١٠٨ .

(٢) يوسف:٤١.

(٣) إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان (موسوعة ابن ادريس الحلي):ص٤٦.

(٤) المصدر السابق .

فالرّبّ اذن هو: الصاحب ،و المالك ،والسّيد ، والحافظ ،والراعي ،والمدير، والمصلح. والجامع لكل هذه الصفات هو : سوق الشيء إلى جهة الكمال ورفع النقائص سواء من جهة الذاتيات أو العوارض أو الإعتقادات والمعارف أو الصفات والأخلاقيات أو الأعمال والآداب أو العلوم المتداولة في إنسان أو حيوان أو نبات، وفي كل شي بحسبه وبحسب ما يقتضي ترفيع منزلته وتكميل شأنه.

والرّبّ إذا أطلق من دون إضافة فهو يدل على الله تعالى أو المعبود عموماً، وإذا أضيف دلّ على ما أضيف إليه كقولنا : ربّ الدار وربّ العمل وما شابه ذلك. وهذا يدل على أن (الرّبّ) في الإصطلاح يطلق على الخالق والمدبّر، وهذا ما استعمله القرآن الكريم في كثير آياته كما في قوله تعالى : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ام اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[1]، وكذا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾[2]، وقوله تعالى أيضا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[3].

إذن: فالإستعمال القرآني قائم على كون الرّب بمعنى الخالق المدبّر؛ ولذا صحّ أن نقول: غن الرّب إسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال لغيره إلا بالإضافة.

---

(١) يوسف :٣٩.

(٢) الانعام:٧٦.

(٣) البقرة :٢٥٨.

المفردة الرابعة : ((**العالَمِين**)) : العالمين جمع عالم، والمقصود به كلّ المخلوقات ما عدى الله عزّ وجلّ ،كعالم الجنّ وعالم الإنس وعالم الملائكة وعالم الغيب وعالم الشهادة وعالم العقل وعالم المثال وعالم المادّة.

وأما إضافة الرّب إلى العالمين فهي إضافة حقيقية لا تشريفية، ومعنى ذلك أن الله تعالى هو مدبّر أمر كلّ العوالم وكل المخلوقات، ولذا فهو يستحق الحمد دون ما سواه.

نعم تستعمل لفظة العالمين في القرآن بعدة معان بحسب المصداق، أي أن القرآن يستعملها ويريد منها عدة مصاديق وإليك بعضاً منها:

١- الإنس والجنّ كما في قوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾[١].

٢- خصوص الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إلى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾[٢].

٣- جماعة مخصوصة كما في غستعماله للبشرية بعد قوم نوح (عليه السلام) كقوله تعالى : ﴿**سَلَام عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾[٣]. أو قوله بالنسبة إلى بني إسرائيل قياساً لغيرهم من البشر: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾[٤].

---

(١) الفرقان:١.

(٢) الأنبياء :٧١.

(٣) الصافات:٧٩.

(٤) البقرة:٤٧.

٤- تستعمل في الغرباء من الناس،كما في قول قوم لوط لنبيهم لوط (عليه السلام) كما في الآية الشريفة : ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١].

إلى غير ذلك من الإستعمالات القرآنية التي تدل جميعاً على أن (العالمين) لفظ يدل على مجموعة وتختلف هذه المجموعة باختلاف مصاديقها.

فقوله تعالى: ((الحمدُ لله ربّ العالمين)) أي أحَمدُ اللهَ الذي هو مدبّر وخالق جميع العوالم والمخلوقات.

الجهة الثانية : تفسير ((الحمدُ للهِ ربِّ العالمين)) بمعناها العام وفيها مسألتان :

المسألة الأولى: إنحصارُ الحمدِ باللهِ عزَّ وجلَّ :

أما قولنا: ((الحمد لله)) فمعناه إنحصار الحمد الحقيقي والذاتي بالله تعالى، أي لا حمد واقعي إلا لله ربّ العالمين.

وقد ذكر السيد الخوئي (قدس سره) في تفسيره : إن طبيعة الحمد وجنسه تختص به تعالى وذلك لأمور:

الأمر الأول : إن حسن الفعل وكماله ينشأ من حسن الفاعل وكماله، والله سبحانه هو الكامل المطلق الذي لا نقص فيه من جهة أبداً ، ففعله هو الفعل الكامل الذي لا نقص فيه أبداً : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[٢].

وأما غيره فلا يخلو عن نقيصة ذاتية بل نقائص ، فأفعاله لا محالة تكون كذلك.

والفعل الحسن المحض يختص به سبحانه، ويمتنع صدوره من سواه ، فهو المختص بالحمد ويمتنع أن يستحقه أحد سواه . وقد أشير إلى هذا بقوله : "

---

(١) الحجر:٧٠.

(٢) الاسراء:٨٤.

الحمد لله " فقد عرفت أن كلمة " الله " علم للذات المقدسة المستجمعة لجميع صفات الكمال . وقد ورد عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : ((فُقد لأبي بغلة فقال : لئن ردها الله علي لأحمدنه بمحامد يرضاها ، فما لبث أن جئ بها بسرجها ولجامها ، ولما استوى وضم إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال : الحمد لله ، و لم يزد ، ثم قال : ما تركت ولا أبقيت شيئاً جعلت جميع أنواع المحامد لله عز وجل فما من حمد إلا وهو داخل فيما قلت)) [١]. وعنه (سلام الله عليه) : ((ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال : الحمد لله ، إلا أدى شكرها))[٢].

الأمر الثاني : إن الكمال الأول لكل ممكن من العقول والنفوس والأرواح والأشباح إنما هو وجوده ، ولا ريب في أنه فعل الله سبحانه وهو مبدعه وموجده .

وأما الكمال الثاني وهي الأمور التي توجب الفضل والميز ، فما كان منه خارجاً عن إختيار المخلوق فهو أيضاً من أفعال الله تعالى بلا ريب . وذلك كما في نمو النبات وإدراك الحيوان منافعه ومضاره ، وقدرة الإنسان على بيان مقاصده . وما كان منه صادراً عن المخلوقين باختيارهم ، فهي وإن كانت إختيارية إلا أنها منتهية إلى الله سبحانه ، فإنه الموفق للصواب ، والهادي إلى الرشاد . وقد ورد : ((إن الله أولى بحسنات العبد منه))[٣]، وقد أشير إلى ذلك بجملة " رب العالمين " .

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ،ص ٢٩ .وقريب منه في أصول الكافي :ج٢،ص٩٧،باب الشكر ح١٨.

(٢) اصول الكافي : ج٢، ص٩٦ ،باب الشكر ح١٤.

(٣) الوافي: باب الخير والقدر ،ج ١ ،ص ١١٩ .

أقول: وما يؤكد هذا المعنى الذي أشار له العلامة السيد الخوئي (قدس سره) قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1].

وهنا توجد محاورة لإبراهيم بن أدهم- وهو رجل يوصف بالزهد والنسك- يذكرها عبد الله بن قدامه في كتابه (التوابين) لا بأس بذكرها لفائدتها ومناسبتها فيما نحن فيه: روي أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم ، فقال له : يا أبا إسحاق ! إني مسرف على نفسي ، فأعرض علي ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي .

قال : إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية، و لم توبقك ثنا لذة . قال : هات يا أبا إسحاق ! قال : أما الأولى ، فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه . قال : فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه ؟ قال له : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال : لا ؛ هات الثانية ! قال : وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئا من بلاده . قال الرجل: هذه أعظم من الأولى ! يا هذا ! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له ، فأين أسكن ؟ قال : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟ قال: لا ؛ هات الثالثة ! قال : إذا أردت أن تعصيه ، وأنت تحت رزقه وفي بلاده ، فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه . قال : يا إبراهيم ! كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر ؟ قال : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به ؟ ! قال : لا ، هات الرابعة ! قال : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أخرني حتى

---

(١) النساء:٧٩.

أتـــــوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحـــاً . قال : لا يقبل مني ! قال : يا هذا ! فأنت إذ لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب ، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير ، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟ ! قال : هات الخامسة ! قال : إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك إلى النار فلا تذهب معهم . قال : لا يدعونني ولا يقبلون مني . قال : فكيف ترجو النجاة إذا ؟ ! قال لـــه : يـــا إبراهيم ! حسبي حسبي ! أنا أستغفر الله وأتوب إليه . ولزمه في العبادة حـــتى فرق الموت بينهما [1].

الأمر الثالث : إن الفعل الحسن الصادر من الله تعالى لا يرجع نفعه إليـــه، لأنه الكامل المطلق الذي يستحيل عليه الإستكمال . وفعله إنما هـــو إحســـان محض يرجع نفعه إلى المخلوقين . وأما الفعل الحسن الصادر من غيره فهو وإن كان إحساناً إلى أحد في بعض الأحيان، إلا أنـــه إحســـان إلى نفســـه أولاً وبالذات، وبه يدرك كماله : ﴿ إِنْ أَحْسَـــنْتُمْ أَحْسَـــنْتُمْ لِأَنْفُسِـــكُمْ ﴾[2]. فالإحسان المحض إنما هو فعل الله تعالى لا غير فهو المستحق للحمد دون غيره وإلى ذلك أشير بجملة : " الرحمن الرحيم ".

ثم إن الثناء على الفعل الجميل قد يكون ناشئاً عن إدراك الحامـــد حســـن ذات الفاعل وصفاته من دون نظر إلى إنعامه، أو الرغبة فيه ، أو الرهبة منـــه. وقد يكون ناشئاً عن النظر إلى أحد هذه الأمور الثلاثة، فقد أشير إلى المنشـــأ الأول بجملة : " الحمد لله " فالحامد يحمده تعالى بما أنه مســـتحق للحمـــد في ذاته، وبما أنه مستجمع لجميع صفات الكمال منـــزه عن جميع جهات النقص.

---

(١) كتاب التوابين: ص٢٨٦.

(٢) الاسراء:٧.

وأشير إلى المنشأ الثاني بجملة : " رب العالمين " فإنه المنعم على عباده بالخلق والإيجاد ، ثم بالتربية والتكميل . وأشير إلى المنشأ الثالث بجملة : " الرحمن الرحيم " . فان صفة الرحمة تستدعي الرغبة في نعمائه تعالى وطلب الخير منه . وأشير إلى المنشأ الرابع بقوله : " مالك يوم الدين " ، فإن من تنتهي إليه الأمور ويكون إليه المنقلب جدير بأن ترهب سطوته ، وتحذر مخالفته . وقد يكون الوجه هو بيان أن يوم الدين هو يوم ظهور العدل والفضل الإلهيين ، وكلاهما جميل لابد من حمده تعالى لأجله ، فكما أن أفعاله في الدنيا من الخلق والتربية والإحسان كلها أفعال جميلة يستحق عليها الحمد فكذلك أفعاله في الآخرة من العفو والغفران وإثابة المطيعين ، وعقاب العاصين كلها أفعال جميلة يستوجب الحمد بها[1].

المسألة الثانية: إنحصارُ الرّبوبيّةِ باللهِ عزَّ وجلّ :

من بين الأبحاث العقائدية المهمّة والأساسية هو بحث إنحصار الربوبية بالله تعالى، أو ما يسمى بإصطلاحات علم العقائد بالتوحيد في الربوبية. بل إن المعركة الحقيقية بين خط الأنبياء وخط الكفر والشيطان إنما كانت في هذا المحور، لأن أغلب الناس على الأقل ليس عندهم مشكلة عقائدية في مسألة الخالقية إذ أن الأغلب – إن لم نقل الكل – يؤمنون بخالقية الله تبارك وتعالى. فهولاء الذين يعبدون الأصنام لا يعبدونها بعنوان أنها خالقة وإنما بعنوان أنها أرباب ، وهم مع ذلك يعترفون بأن الخالق الوحيد هو الله تبارك وتعالى، وإلى هذا المعنى تشير بعض الآيات الشريفة كقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

(١) البيان في تفسير القرآن: ص٤٥٧-٤٦٠.

السَّمَاوَاتِ وَالأرض لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[1]. فهم يعتقدون أن هذه الأصنام أو الأرباب هي المسؤولة عن الرزق والصحة والعطاء والنماء والخير والبقاء والأرض والسماء وغير ذلك من الأمور التي يجمعها مبدأ التدبير، لأننا ذكرنا سابقاً بأن الرب معناه المدبر لشؤون المربوب وهو نوع من التربية والعناية بالشيء حتى يصل إلى كماله اللائق به.

فالمشركون وان كانوا يؤمنون بكون الخالق هو الله تعالى إلا أن مسألة التوحيد في التدبير لم تكن أمراً مسلّماً عندهم، بل الشرك في التدبير كان شائعاً بين الوثنيين، حيث كانوا يقولون ليس للكون إلا خالق واحد وهو موجد السموات والأرض وخالقها، ولكنه بعد أن خلق الكون فوّض تدبير بعض أموره إلى واحد أو أكثر من خلقه واعتزل هو أمر التدبير، وهذه المخلوقات المفوّض إليها أمر التدبير كانت في نظر هولاء عبارة عن الملائكة، والجنّ، والأرواح المقدّسة وغير ذلك.

فزعموا أن كل واحد من هذه الأشياء مسؤولة عن تدبير جانب من جوانب الكون. وأمام هذا الشرك في الربوبية جاء الأنبياء بدعوة التوحيد في الربوبية، وأن الخالق الواحد هو الرب الواحد ولا مدبر لهذا الكون إلا هو، لا في صغير الأشياء ولا في كبيرها، ولا في سماواتها ولا في أرضها.

وجاءت الكتب السماوية لتؤكد ذلك، وأن غير الله تعالى لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، بل هي فقيرة في ذاتها فكيف تعطي وتغني؟ كما قال الحكماء: (فاقد الشيء لا يعطيه) .

---

(١) لقمان : ٢٥.

إن القرآن الكريم في هذه الآية ((الحمد لله رب العالمين)) يؤكد بأن الحمد منحصر برب العالمين، وهو الذي يستحق الحمد حقيقة، كما أشار الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في دعاء السحر في الصحيفة السجادية : ((فربي أحمد شيء عندي ، وأحق بحمدي))[1].

أدلة انحصار الربوبية بالله تعالى :

لقد أقام الفلاسفة والمتكلمون العديد من الأدلة على إنحصار الربوبية بالله عزَّ وجلَّ، الأمر الذي أكده القرآن الكريم بأوضح العبارات، وأكدته أيضاً كل الكتب السماوية وجميع الأنبياء . وإليك مجموعة من الأدلة والبراهين التي أكدت هذه الحقيقة بشكل لا لبس ولا شك فيه:

أولا: التدبير لا ينفكّ عن الخلق :

إن تدبير الله تعالى لهذا الكون بما فيه لا يشبه بأي حال تدبير الإنسان لحياته، فان الإنسان المدبر لشؤون شركة من الشركات مثلاً إنما يكون تدبيره من خلال إصدار جملة من الأوامر لمساعديه وموظفيه ومن خلال ذلك يتمّ ترتيب أمر هذه الشركة.

أما تدبير الكون والعالم فإنما يحتاج إلى شيء آخر، بل هو شيء آخر مختلف عن ذلك تماماً جملة وتفصيلاً.

إن النكتة الأساسية في خطأ المشركين تتمثل في أنهم قاسوا تدبير عالم الكون بتدبير أمور عائلة أو مؤسسة وتصوروا أنهما من نوع واحد. إن تدبيره سبحانه لهذا العالم ليس كتدبير حكم البلد بالنسبة إلى مواطنيه ، أو رب البيت بالنسبة إلى أهله حيث إن ذاك التدبير يتم بإصدار الأوامر ، ولكن التدبير في

---

(١) الصحيفة السجادية الجامعة، تحقيق الأبطحي: ص٢١٥ .

الكون في الحقيقة إدامة الخلق والإيجاد وقد سبق أن الخالقية منحصرة في الله سبحانه فالقول بالتوحيد فيها يستلزم القول بالتوحيد في التدبير[1].

إن تدبير العالم والكون ما هو إلا إدامة الخلق والإيجاد وإيجاد ما به يتحقق بقاء الموجودات ووصولها إلى كمالها. إن الموجودات فقيرة وفاقدة في مقام ذاتها، بمعنى أنها لا تقتضي ضرورة الوجود في ذاتها، وهي أيضاً فقيرة وفاقدة لكمال الوجود (أي ما يصلح تلك الذات وما يبقيها ويراعيها).

إن كلّ ذات من الذوات تحتاج إلى الخالق في وجودها وحدوثها كما إنها تحتاج إليه في بقائها وكمال وجودها، فيسمّى الإحتياج الأول بـ (الخلق) ويسمّى الاحتياج الثاني بـ (التدبير) ويسمّى الفائض وواهب الوجود بـ (الخالق) ويسمّى المدبر للبقاء بـ (الرب). فالتدبير لا ينفك عن الخلق بل هو خلق؛ لأن كلّ موجود يحتاج إلى إفاضة الوجود وكمال الوجود عليه في كلّ آن آن، فهو تماماً مثل ضوء المصباح المرتبط بالتيار الكهربائي فإنه محتاج إلى الطاقة الكهربائية حدوثاً وبقاءً.

ثانياً: وحدة النظام دليل على وحدة المدبّر:

إن الذي ينظر إلى نظام العالم بما يحمل من موجودات مختلفة سوف يرى وجود نظام واحد منسجم وقوانين واحدة تحكم هذا العالم، فقانون الجاذبية سائر في كل أجزاء الكون وقانون الإزاحة وقوانين الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها. فوحدة النظام والقوانين تدل على أن المدبر واحد وإلا لرأينا الإختلاف.

---

(١) الالهيات : ص٤٠٨.

إن مطالعة كل صفحة من صفحات الكتاب التكويني العظيم يقودنا إلى وجود نظام موحد، وكأن أوراق الكتاب التكويني على غرار الكتاب التدويني شد بعضه إلى بعض بيد واحدة وأخرجت في صورة موحدة .

إن القوانين والسنن الحاكمة على الموجودات الطبيعية كلية وشاملة ، بحيث لو أتيح لأحد أن يكشف ناموساً طبيعياً في نقطة من نقاط الكون فهو يكشف قانوناً كلياً سائداً على النظام من غير فرق بين أرضية وفلكية .

إن وحدة النظام وشمول السنن تقودنا إلى موضوعين :

١ - ليس للعالم إلا خالق واحد .

٢ - ليس للعالم إلا مدبر واحد .

وعند ذلك يتجلى مفاد قوله سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمر تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1]. إن جملة " له الخلق " إشارة إلى التوحيد في الخالقية . وجملة " والأمر " إشارة إلى التوحيد في التدبير الذي هو نوع من الحاكمية[2].

ثالثاً: دليل التمانع القرآني :

لقد عرض القرآن الكريم دليلاً واضحاً على إنحصار الربوبية بالله تعالى، وذلك من خلال برهان التمانع القاضي ببطلان كل الإحتمالات التي يمكن أن تفرض في البين بوجود مدبّر لهذا العالم غير الله تعالى، وبالتالي المصير إلى الحقيقة اليقينية بكون الله عزّ وجلّ هو المدبّر الوحيد لهذا الكون بل كل العوالم الأخرى.

---

(١) الاعراف:٥٤.

(٢) الالهيات: ص٤٠٩.

وسنلاحظ ذلك من خلال آيتين شريفتين تعرضتا لهذا البرهان، وهما صريحتان وواضحتان لا يحتاجان إلى مزيد من البيان أو التفسير.

الآية الأولى، قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1].

والآية الثانية، قوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

فهاتان الآيتان تشيران بشكل واضح إلى إستحالة أن يكون لهذا العالم مدبّر غير الله تعالى؛ لأننا لو فرضنا ذلك – أي وجود مدبر غير الله تعالى – فسوف نكون أمام إحتمالات ثلاث كلها باطلة[3].

الاحتمال الأول: أن ينفرد كل واحد من الآلهة المدبّرة بتدبير مجموع الكون لوحده، بمعنى أن يعمل كل واحد ما يريده في الكون دونما منازع.

ولكن في هذا الفرض سوف يلزم تعدد التدبير؛ لأن المدبر متعدد ومختلف، ولازمه إختلاف القوانين وإختلاف الأحكام وغيرها. ولا شك بأن ذلك سيؤدي إلى فساد هذا العالم ؛ لأن صلاح هذا العالم بثبات قوانينه وإنسجامها، فإذا لم يتحقق ذلك فسوف تنهار أسس هذا العالم بأسره، وبالتالي لا يبقى له

---

(١) الأنبياء : ٢٢.

(٢) المؤمنون : ٩١.

(٣) انظر:كتاب الالهيات، الشيخ السبحاني،ص٤١٢،الطبعة الاولى سنة ١٤٠٩هـ .

أي أثر أو وجود، وهذا ما عنته الآية الأولى الآنفة الذكر بقولها: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

الاحتمال الثاني: أن يدير كل واحد من الأرباب المزعومة قسماً من الكون الذي خلقه.

ولكن هذا الفرض أيضاً لا يحلّ لنا المشكلة حيث يؤدي إلى تعدد الأنظمة وإختلافها تبعاً لتعدد المدبرين وإختلافهم، حيث يتربع كل ربّ مزعوم على نظامه الذي يديره وعالمه الذي يحكمه، وبالتالي يقع الفساد في نظام الكون بأكمله، لعدم التوافق والإنسجام،كما نوهت الآية الثانية المتقدمة الذكر بقولها: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إذا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2].

الاحتمال الثالث : أن يتميّز أحد الآلهة على البقية ويكون حاكماً عليهم، ويوحد جهودهم وأعمالهم ويسبغ عليهم الإنسجام .

ولكن هذا الفرض كسابقيه لا يحلّ لنا المشكلة، حيث يؤدي إلى القول بلغوية الآلهة الأخرى بعد فرض وجود الأقوى والأعلى من بينهم، إذ ما فائدة ربوبية أولئك الأرباب الذين لا حول ولا قوة لهم إلا من خلال هذا الرب الزعيم ؟!

لا شك أن ذلك باطل أيضا لأنه يفضي إلى عدم الفرق بين الرب والمربوب من جهة، وإلى لزوم اللغوية من وجود بقية الأرباب إزاء الرب الحاكم المزعوم من جهة ثانية. ومن هنا يجيب الإمام الصادق (عليه السلام) على سؤال

---

(١) الأنبياء :٢٢.

(٢) المؤمنون: ٩١.

الزنديق الذي فرض أن يكون المدبر أكثر من واحد، كما يروي ذلك الشيخ الكليني عن هشام بن الحكم : ((وكان من قول أبي عبد الله (عليه السلام) : لا يخلو قولك (أي الرجل الزنديق) : إنهما إثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً ، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالتدبير. وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني . فإن قلت: إنهما إثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، والتدبير واحداً والليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد. ثم يلزمك إن إدعيت إثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا إثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة ، فإن إدعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الإثنين حتى يكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة .

قال هشام : فكان من سؤال الزنديق أن قال : فما الدليل عليه ؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : وجود الأفاعيل دلت على أن صانعاً صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر البانى و لم تشاهده . قال : فما هو ؟ قال : شيء بخلاف الأشياء، إرجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان))[1].

---

(١) الكافي: ج١،ص٨١،ح٥.

وفي موضع آخر نلاحظ الإمام الصادق (عليه السلام) يبين الدليل على وحدانية الله تعالى لتلميذه هشام بن الحكم الذي سأله عن ذلك كما يروي الشيخ الصدوق (ره) في كتابه التوحيد. عن هشام بن الحكم قوله : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما الدليل على أن الله واحد ؟ قال : إتصال التدبير وتمام الصنع ، كما قال عز وجل: ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ [1]،[2].

إذن : الربوبية منحصرة بالله تعالى وهو المصداق الحصري لها، فهو خالق الكون وهو رب العالمين جلّ جلاله وتبارك إسمه.

إضاءات:

الإضاءة الأولى: روى الشيخ الكليني (قدس سره) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ((شكر النعمة إجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل : الحمد الله رب العالمين))[3].

إن هذه الرواية الشريفة ترفدنا بجملة من الأمور التي ينبغي الإلتفات إليها في حياتنا العملية والسلوكية:

أولا: إن (الحمد) هو أعلى مراتب الشكر، ولا تليق هذه الكلمة إلا بالله تعالى رب العالمين.

---

(١) الأنبياء : ٣٢ .

(٢) التوحيد: ص٢٥٠،ح٢.

(٣) الكافي: ج٢،ص٩٥،ح١٠.

ثانيا: إن الشكر يتحقق بعدم عصيان المنعم وعدم التجاوز على حدوده ومخالفة أوامره ونواهيه، فمن يريد الشكر لله تعالى عليه أن لا يعصيه في صغيرة ولا كبيرة.

ثالثا: إن الشكر سلوك عملي، في حين أن الحمد قول لساني، ولابد أن ينسجم السلوك العملي مع القول اللساني، وإلا فقولنا: (الحمد لله) من دون سلوك والتزام وتطبيق لحدود الله وأحكامه ما هو إلا لقلقة فارغة المحتوى قد لا تستوجب أجراً أو ثواباً .

الإضاءة الثانية: روى الشيخ الصدوق (قدس سره) عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن أبيه عن جده (عليهم السلام) قال : ((جاء رجل إلى الرضا (عليه السلام) فقال له : يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل:(الحمد لله رب العالمين) ما تفسيره ؟ فقال :لقد حدثني أبي عن جدي عن الباقر عن زين العابدين عن أبيه (عليهم السلام) ، أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : أخبرني عن قول الله عز وجل (الحمد لله رب العالمين) ما تفسيره ؟ فقال : ((الحمد لله)) هو أن عرّف عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لا يقدرون على معرفه جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال لهم : قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا رب العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات. وأما الحيوانات فهو يقلبها في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحوطها بكنفه، ويدبر كلًّاً منها بمصلحته. وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته، ويمسك المتصل منها أن يتهافت (أي يتساقط) ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره، إنه بعباده

لرؤف رحيم. وقال (عليه السلام) : ((رب العالمين)) مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، فالرزق مقسوم وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا ليس تقوى متق بزايدة ولا فجور فاجر بناقصة وبينه وبينه ستر وهو طالبه فلو أن أحدكم يفر من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت...))[١].

الإضاءة الثالثة: نقل السيد بن طاووس عن تفسير (شفاء الصدور) لمحمد بن الحسن بن زياد المعروف بالنقاش رواية عن ابن عباس في تفسير كلمة (الحمد) قال: قال لي علي (عليه السلام) يا بن عباس إذا صليت عشاء الآخرة فألحقني إلى الجبأن [٢]قال فصليت ولحقته وكانت ليلة مقمرة قالك فقال لي ما تفسير الألف من الحمد والحمد جميعا ؟ قال: فما علمت حرفاً فيها أجيبه قال: فتكلم في تفسيرها ساعة تامة ثم قال لي فما تفسير اللام من الحمد؟ قال: فقلت لا أعلم قال فتكلم في تفسيرها ساعة تامة ثم قال: فما تفسير الميم من الحمد؟ قال: فقلت لا أعلم قال فتكلم في تفسيرها ساعة ثم قال فما تفسير الدال من الحمد؟ قال: قلت لا أدرى فتكلم فيها إلى أن برق عمود الفجر قال: فقال لي قم يا بن عباس إلى منزلك تتأهب لفرضك فقمت وقد وعيت كلما قال (عليه السلام) قال: ثم تفكرت فإذا علمي بالقرآن في علم علي (عليه السلام) كالقرارة في المنفجر . قال: القرارة الغدير والمنفجر البحر))[٣].

---

(١) عيون أخبار الرضا : ج١،ص٢٥٤،ح ٣٠.

(٢) الجبأن أو الجبّانة أي الصحراء .أنظر: أساس البلاغة ، ص١٠٧.

(٣) سعد السعود: ص٢٨٤.

أقول: والذي يؤكد عمق معنى ((الحمد لله رب العالمين)) - التي جعلت أمير المؤمنين (عليه السلام) يتحدث عن كلمة (الحمد) فقط من بعد صلاة العشاء إلى بزوغ الفجر- ما روي عن مولانا الصادق (عليه السلام) في قوله: ((الحمد لله)) فقال : ((مَن حمده بجميع صفاته كما وصف نفسه فقد حمده، لأن الحمد حاء وميم ودال فالحاء من الوحدانية والميم من الملك والدال من الديمومة فمن عرفه بالوحدانية والملك والديمومة فقد عرفه))[١].

الإضاءة الرابعة: سابقة ((الحمد لله)) في تاريخ البشرية: أول كلمة ذكرها أبونا آدم هو قوله الحمد لله، وآخر كلمة يذكرها أهل الجنة هو قولنا الحمد لله، أما الأول : فلأنه لما بلغ الروح إلى سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين، وأما الثاني : فهو قوله تعالى : ﴿ ...وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢]، ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد، فاجتهد حتى يكون أول أعمالك وآخرها مقروناً بهذه الكلمة فإن الإنسان عالم صغير فيجب أن تكون أحواله موافقة لأحوال العالم الكبير[٣].

ويظهر من الكتاب العزيز : أن لهذه الكلمة سابقة في الأمم السالفة ، قال تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤]، وحكاية عن إبراهيم : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [٥]، وقال في قصة داود

---

(١) تفسير السلمي:ج١،ص٣٣.

(٢) يونس: ١٠.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير،ج١،ص٢٥٥.

(٤) المؤمنون : ٢٨ .

(٥) ابراهيم: ٣٩.

وسليمان : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقال لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[٢]، وهي الكلمة الباقية الخالدة التي يترنم بها أهل الجنة : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾[٣]، ﴿...وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٤]،[٥].

الإضاءة الخامسة: في فضائل ((الحمد لله)) : ذكر الشيخ الكليني (قدس سره) في الجزء الثاني من كتاب الكافي باباً تحت عنوان: (التحميد والتمجيد) وفيه عدد من الروايات التي بينت فضائل وقيمة (الحمد لله) ولأهميتها نورد بعضاً منها تعميماً للفائدة:

١- عن يعقوب بن شعيب قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن في ابن آدم ثلاثمائة وستين عرقاً، منها مائة وثمانون متحركة ومنها مائة وثمانون ساكنة، فلو سكن المتحرك لم ينم ولو تحرك الساكن لم ينم. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أصبح قال : الحمد لله رب العالمين كثيراً على كل حال ثلاثمائة وستين مرة وإذا أمسى قال مثل ذلك))[٦].

---

(١) النمل: ١٥.

(٢) الاسراء:١١١.

(٣) فاطر :٣٤.

(٤) يونس: ١٠.

(٥) تفسير القرآن الكريم: السيد مصطفى الخميني، ج١،ص٣١٤.

(٦) الكافي:ج٢،ص٥٠٣.

٢- عن منصور بن العباس ، عن سعيد بن جناح قال : حدثني أبو مسعود ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ((من قال أربع مرات إذا أصبح: الحمد الله رب العالمين ، فقد أدى شكر يومه ومن قالها إذا أمسى فقد أدى شكر ليلته))[١].

٣- عن المفضل قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) جعلت فداك علمني دعاء جامعاً ، فقال لي : ((أحمِد الله فإنه لا يبقى أحد يصلي إلا دعا لك ، يقول : سمع الله لمن حمده))[٢].

٤- عن محمد بن مروان رفعه قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((من قال إذا عطس : الحمد لله رب العالمين على كل حال . لم يجد وجع الأذنين والأضراس))[٣].

٥- روى الشيخ الصدوق (قدس سره) في ((الخصال)) عن أبي عبد الله، عن أبيه (عليهما السلام) قال : ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم : من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال : الحمد لله رب العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب إليه))[٤].

٦- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):((لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق:ص٦٥٥.

(٤) الخصال : ج١، ص٢٢٢،ح ٤٩.

لكانت الحمد لله أفضل من ذلك)) . قال القرطبي: معناه عندنا : أنه قد أعطي الدنيا، ثم أعطي على أثرها هذه الكلمة حتى نطق بها، فكانت هذه الكلمة أفضل من الدنيا كلها، لأن الدنيا فانية والكلمة باقية ، هي من الباقيات الصالحات ، قال الله تعالى : ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[1]،[2].

(١) مريم : ٧٦.

(٢) أنظر: تفسير القرطبي، ج١ ، ص١٣١.

المبحث الثالث

تفسير قوله تعالى : ((الرحمن الرحيم))

لقد تقدم منّا الحديث بشكل مفصل حول جملة ((الـــرحمن الـــرحيم)) ضمن آية البسملة، وقد عرفت أنهما إسمان من أسماء الله الحسنى ، وإن إســـم الرحمن يدل على صفة ثابتة له وهي مختصة به دون غيره.

وأما إسم الرحيم فهو إسم أيضاً له عزَّ وجلَّ دال على صفة إلا أنها غـــير مختصة به تعالى، ولذا أمكن أن نصف غير الله تعالى بأنه ((رحيم))، في حين لا نستطيع أن نصف غيره تعالى بأنه ((رحمن)).

وكذلك تقدم بنا الكلام عن الفرق بين الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية، وقلنا إن رحمته الرحمانية هي إفاضة الوجود وكمـــال الوجـــود علـــى كـــل الموجودات في كل العوالم، فهي رحمة عامة شاملة لا تخصيص فيها ولا تقييد.

وأما الرحمة الرحيمية، فهي رحمة خاصة بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿هُـــوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّـــورِ وَكَـــانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[1].

---

(١) الأحزاب : ٤٣.

ومن هنا نريد أن نقف على بعض الأمور التي ترتبط بهاتين المفردتين ((الرحمن الرحيم)) آخذين بعين الإعتبار الإجمال وما له الأولولية في طرحه وعرضه.

الأمر الأول : الوجه في تكرار هذه الجملة ((الرحمن الرحيم))

لقد وردت جملة ((الرحمن الرحيم)) في سورة الفاتحة مكررة، مرة في البسملة وأخرى في آية منفردة ضمن السورة، ولعل البعض يسأل عن وجه هذا التكرار وفلسفته .

الجواب: إنما كرر سبحانه وتعالى ((الرحمن الرحيم)) بناءً على كون هذين الإسمين ما هما إلا تعريف بالله تعالى ولهما إرتباط بقوله : ((الحمد لله رب العالمين))، فإنه بعد أن قال: ((الحمد لله رب العالمين)) فإن هناك سؤالاً مقدّراً وهو: ومن هو رب العالمين ؟ فيجيب الله تعالى معرّفاً نفسه المقدسة بأنه ((الرحمن الرحيم)) ولذا قال في آية أخرى: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾[1]. وقال أيضاً : ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأسماء الْحُسْنَى...** ﴾[2].

إذن : هذا التكرار ليس إعتباطياً. وكذا يمكن أن يكون إشارة وإشعاراً بالفرق بين كون جملة ((الرحمن الرحيم)) ضمن آية البسملة وبين كونها آية مستقلة، حيث يوجد بين الجملتين فرق دقيق بلحاظ موضعهما وموقعهما.

فأما ما كان موضعه ضمن البسملة فأريد منه الإشارة إلى العنوان العام من كونهما (أي الرحمن الرحيم) صفتين للذات الإلهية بلا إضافة إلى شيء.

---

(١) البقرة : ١٦٣.

(٢) الاسراء:١١٠.

واما ما كان موقعه في آية مستقلة فقد لوحظ باعتبار منشأ إستحقاقه تعالى للحمد، أي أنه تعالى إستحق الحمد دون سواه من حيث فعله الذي إتصف بالرحمانية والرحيمية.

وبعبارة أخرى أدق: إن الرحمانية الرحيمية في آية البسملة ترتبط بمقام الصفات الذاتية، بينما الرحمانية الرحيمية في الآية المستقلة ترتبط بمقام الصفات الفعلية.

فالمقام الأول يرتبط بالتعريف بالهوية الإلهية، والمقام الثاني يرتبط بالهوية الربوبية.

الأمر الثاني : سعة رحمة الله تعالى.

غن التأكيد على الرحمانية التي هي صفة شاملة لكل الوجود والموجود، والرحيمية التي كتبها الله تعالى لمن إرتضاه وإختصه بلطفه ورحمته من الأولياء والصالحين، ما هو إلا تعبير آخر عن سعة رحمته وعظمتها.

ولقد تضافرت الآيات القرآنية والروايات الشريفة في بيان هذه الرحمة وسعتها، وجاءت عباراتها صريحة وواضحة من غير حاجة إلى تفسير أو تأويل.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿... رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً ... ﴾[1]، وكذا قوله تعالى: ﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾[2].

وأما الروايات فهي كثيرة ومنوعة منها:

١- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: ((إن الله تعالى خلق مائة رحمة يوم خلق السماوات والأرض، كل رحمة منها طباق ما بين السماء

(١) غافر : ٧.

(٢) الاعراف : ١٥٦.

والأرض، فأهبط رحمة منها إلى الأرض فبها تراحم الخلق، وبها تعطف الوالدة عن ولدها، وبها تشرب الطير والوحوش من الماء ، وبها تعيش الخلائق...))[١].

٢- روى السيد المرتضى في كتابه الأمالي أنه قيل لعلي بن الحسين (عليه السلام) : قال الحسن البصري: ليس العجب ممن هلك كيف هلك وإنما العجب ممن نجى كيف نجى. فقال (عليه السلام)، أنا أقول: ((ليس العجب ممن نجى كيف نجى، إنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله))[٢].

٣- وكذا ورد عنه (عليه السلام) : ((لا يهلك مؤمن بين ثلاث خصال : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسعة رحمة الله عز وجل))[٣].

٤- عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ((لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد، خلق الله مائة رحمة فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند الله تسعة وتسعون رحمة))[٤].

٥- وكذا عنه (صلى الله عليه وآله) : ((لو تعلمون قدر رحمة الله تعالى لاتكلتم عليها))[٥].

٦- روي أنه قدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سبي فإذا إمرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها

---

(١) كنز العمال: ج ٤،ص٢٧٤.

(٢) الأمالي : ج١، ص١١٣.

(٣) التذكرة الحمدونية : ج١ ، ص ١٠٧ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل : ج٢ ، ص ٣٣٤ .

(٥) الجامع الصغير، للسيوطي : ج٢ ، ص ٤٣٠.

وأرضعته. فقال لنا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها))[١].

الأمر الثالث : موجبات الرحمة الإلهية

جرت سُنّة الله تعالى في موارد الإفاضة والمنع في العطاء في كل الأمور والأشياء أن لا تخرج عن قانون السبب والمسبب كما هو قول إمامنا أبي عبد الله (عليه السلام) : ((أبى الله أن يجرى الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، مَنْ عرفه عرف الله، ومَنْ أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله ونحن))[٢].

وهذه السنّة إنما تجري لغايات وأهداف منها أن تكون كل الأمور واضحة لدى البشر وبالتالي يتسنى لهم تحديد الموقف إيجاباً أو سلباً، وذلك من خلال ما عندهم من إرادة وإختيار، الأمر الذي يعطي لله تعالى الحجة البالغة في محاسبتهم من جهة كما قال تعالى : ﴿ ... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٣]، ومن جهة أخرى يكون مدعاة لتحفيز الإنسان وإرشاده إلى تحقيق تلك الأسباب في كسب الخير ونيل العطاء الإلهي، أو الإبتعاد عما يوجب الخسارة والهلاك في دنياه وآخرته.

---

(١) صحيح البخاري : ج ٧ ، ص ٧٥ .

(٢) بصائر الدرجات : ص٢٦.

(٣) النساء : ١٦٥ .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى جملة من موجبات الرحمة الإلهية وأسباب فيوضاته العظيمة نذكر بعضاً منها طلباً للإختصار:

١- طاعة الله تعالى وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله) توجبان الرحمة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١].

٢- الأخذ بكتاب الله تعالى وتطبيق أحكامه، فهو موجب لنزول البركة والرحمة الإلهية، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢].

٣- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يوجبان رحمة الله تعالى، قال عز وجل : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣].

٤- الإستغفار لله تعالى يوجب الرحمة والبركة، قال تعالى : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤]

وقال أيضا : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ** يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ** وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[٥].

---

(١) آل عمران : ١٣٢.

(٢) الأنعام :١٥٥ .

(٣) النور : ٥٦ .

(٤) النمل : ٤٦ .

(٥) نوح : ١٠-١٢.

الأمر الرابع : موانع الرحمة الإلهية

كما إن العطاء والرحمة الإلهية لهما موجبات وأسباب، كذلك توجد موانع لهذه الرحمة تحول دون نزولها ووصولها إلى الناس أو غيرهم، وهذه الموانع كثيرة ومتعددة ذكرها القرآن الكريم والسنّة الشريفة وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وإليك بعضاً منها :

١- رحمة الظالمين تمنع الرحمة من الله تعالى.

قال الإمام علي (عليه السلام) : ((رحمة مَنْ لا يرحم تمنع الرحمة ، وإستبقاء مَنْ لا يُبقي يُهلك الأمة))[١].

إن رحمة من لا يرحم غيره، كما هو حال الطغاة والظالمين وأصحاب القلوب القاسية التي لا ترحم؛ فإن رحمتهم – عند الظفر بهم – تكون سبباً في منع ووصول الرحمة الإلهية إلى الناس بل الحياة بأسرها؛ لأن معنى رحمتهم هو تعطيل حكم الله فيهم وعدم تطبيق قوانينه العادلة فيهم، قال تعالى : ﴿... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٢].

وكذا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) :((من لم يرحم الناس منعه الله رحمته))[٣].

٢- التقدم إلى الله بما يكره يمنع الرحمة الإلهية.

---

(١) ميزان الحكمة : ج٢،ص١٠٥.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) ميزان الحكمة : ج٢،ص١٠٥.

عن الهيثم بن واقد الجزري قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ((إن الله عزّ وجل بعث نبياً من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سراء فتحولوا عمّا أحب إلى ما أكره إلا تحولت لهم عمّا يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عمّا أكره إلى ما أحب إلا تحولت لهم عمّا يكرهون إلى ما يحبون، وقل لهم : إن رحمتي سبقت غضبي فلا تقنطوا من رحمتي، فإنه لا يتعاظم عندي ذنب أغفره، وقل لهم : لا يتعرضوا معاندين لسخطي، ولا يستخفوا بأوليائي فإن لي سطوات عند غضبي، لا يقوم لها شيء من خلقي))[1].

الأمر الخامس: التراحم والتعاطف .

لقد حث الإسلام والشريعة المحمدية السمحاء على ضرورة التراحم والتعاطف والتواد بين الناس فيما بينهم أفراداً وجماعات، وجعلت هذا من الدين والإيمان الصحيح.قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2]، وجاء في الحديث المشهور عن رسول الله (صلى

---

(١) الكافي : ج٢،ص٢٧٥ .

(٢) الفتح : ٢٩.

الله عليه وآله) : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[١].

ونرى الإمام الصادق (عليه السلام) يوصي أصحابه : ((اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا، وتلاقوا تذاكروا أمرنا وأحيوه))[٢].

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) يقول: ((يحق على المسلمين الإجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمؤاساة لأهل الحاجة و تعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٣]، متراحمين، مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله (عليه السلام)))[٤].

---

(١) الجامع الصغير: ج٢،ص٥٣٢.

(٢) الكافي : ج٢،ص١٧٥.

(٣) الفتح : ٢٩ .

(٤) الكافي : ج٢،ص١٧٥.

المبحث الرابع

تفسير قوله تعالى : ((مالك يوم الدين))

سوف يتركز البحث في هذه الآية على مطلبين أساسيين وهما: معنى المفردات الواردة في الآية الشريفة، وكذا دلالة الآية من حيث المجموع (أي تفسيرها) ، مضافاً إلى الإضاءات التي سوف نذكرها في ختام كل بحث كما مرّ بنا سابقاً.

المطلب الأول: معاني المفردات في الآية الشريفة.

أولا: ((مالك)) .

إذا راجعنا معاجم اللغة فسوف نجد أن هذه المفردة – أي مادة (ملك)– واشتقاقاتها تدل على جملة من الأمور:

١– القوة: يقال: ملكت الشيء : قويته. ثم قيل: ملك الإنسان الشيء يملكه ملكاً. والإسم الملك؛ لإن يده قوية صحيحة[١].

٢– المتصرف بالشيء : ومنه اشتق إسم المِلك فإنه المتصرف بأمور الرعية. فأي متصرف بأمور غيره يعتبر ملكاً عليه. ولذا يقول أمير المؤمنين (عليه

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج٥،ص٣٥٢ .

السلام) : امنن على من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره))[١].

وقيل: إن الفرق بين المِلك والمالك هو أن المِلك هو القادر الواسع المقدور الذي له سياسة التدبير. والمالك: القادر على التصرف في ماله، وله أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه[٢].

٣- المحيط والمستولي: من الإحاطة والإحتواء والإستيلاء. فمن استولى على شيء أو أحاط به أو إحتواه فقد ملكه. ولا أقل من كون الإحاطة من لوازم الملك لا أنها عينه.

قال بعض الأعلام من المحققين : وقد يُعرَّفُ الملك أيضاً بأنه القدرة على التصرف في النظام الاجتماعي، أي الذي يملك الأمر والنهي في النظام، وبإعتبار أن الولاة يملكون الأمر والنهي في النظام الإجتماعي سُمّوا ملوكاً، والله يملك الأمر في النهي في كل الأمور الكونية والإجتماعية وفي هذه الحياة وفي الحياة الأخرى، بل وفي جميع العوالم وصف سبحانه بالملك، وقيل : إن (المَلِك) هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين، ولهذا يقال : مَلِكُ الناس ، ولا يقال : مَلِكُ الأشياء ، وفي غير هذا المورد تكون القدرة على التصرف (مُلْك) لا (مَلِك) . وعندما ندقق في هذا الكلام نجد أن المفهوم العرفي لكل من (المَلِك) و (المُلْك) يرجع إلى أمر واحد وهو (القدرة على التصرف) وإنما يفترقان في مجال ومتعلق التصرف، فالأول هو التصرف في النظام على نحو إصدار القرارات فيه، والثاني هو

---

(١) الخصال: ص٤٢.

(٢) الفروق اللغوية:ص٤٧٣.

التصرف في الأشياء الأخرى ، وأما الإختصاص والربط مع الشدة فيهما فهماً من آثار هذه القدرة، ولا يكون حينئذ بياناً للمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، بل هما تفسير باللازم والأثر للمعنى الحقيقي، ولا يبعد أن يكون المعنى الصحيح للمُلْك هو القدرة الحقيقية على التصرف بالأشياء ، والمَلِك مأخوذ من هذه القدرة مع إضافة عنصر النظام[1].

وهنا جملة من النكات التي ينبغي ذكرها :

النكتة الأولى : إن المدقق في أصل مادة (ملك) يجد أنها تدل على التسلط على الشيء بحيث يكون إختياره بيده. وهذا التسلط يأخذ أشكالاً مختلفة:

١- فتارة يكون متعلقاً بذات الشيء أصلاً وفرعاً، كما في مالكية الله تعالى لخلقه، فانه تعالى مالك كل شيء ومتسلط على كل شيء.

٢- وأخرى يكون متعلقاً بالذوات إعتباراً كما في المملوك والمبيع، أو بالنسبة إلى ما يستفاد منه كما في الإجارة والنكاح.

٣- وتارة ثالثة يكون- أي التسلط – متعلقاً بأمور الناس ووظائفهم الإجتماعية كما في تسلط الحاكم والسلطان.

٤- ورابعة يتعلق بالتسلط على النفس وأهوائها وطباعها كما في النفوس المهذبة المرتاضة.

النكتة الثانية : الملكية على نحوين : حقيقية وإعتبارية :

١- الملكية الحقيقية: وهي السلطنة التامة بحيث يكون إختيار المملوك تحت سلطنة المالك حدوثاً وبقاءً، وهي مخصوصة بالله تعالى؛ لأنه مالك لجميع الموجودات بالإضافة الإشراقية ملكية تامة ومحيط بها إحاطة قيومية.

---

(١) تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم: ص ٢٠١ .

وهذه المرتبة من الملكية هي أعلى مراتب الملكية، ويليها في المرتبة ما يسمى بملكية الإنسان لنفسه وأعضائه وأفعاله وذمته، فان هذه الأمور مملوكة له بالإضافة الذاتية الأولية، وهي عبارة عن سلطنة الشخص على أفعاله سلطنة تكوينية.

٢- الملكية الاعتبارية : التي يعتبرها العقلاء لشخص خاص لمصالح تدعوهم إلى ذلك، وربما يمضي الشارع إعتبارهم هذا لأجل تلك المصلحة ، بل قد يعتبر الشارع ملكية شيء لشخص وإن لم يعتبرها العقلاء ، كما يتفق ذلك في بعض أقسام الإرث[1].

وهذه الملكية الإعتبارية تارة تكون كلية كما في ملكية الفقراء للزكاة، وأخرى تكون ملكية جزئية كمالكية الشخص لبيته أو سيارته أو ملابسه أو غير ذلك. وهذا الجزئي تارة يكون فرداً وأخرى يكون جماعةً، كما في ملك الورثة الإرثَ والشركاءِ الشيءَ على نحو الإشاعة بينهم.

النكتة الثالثة: هناك قراءتان لقوله تعالى: ((مالكِ)) أو ((مَلِكِ))، وكلا القراءتين صحيحة بلا مشكلة، لأنه لا فرق بالنسبة إليه تعالى لكونه مالكاً في عين ملكيته وبالعكس، فكما أنه تعالى رب العالمين بالنسبة إلى جميع الموجودات كذلك مَلِك ومالك بالنسبة إلى جميعها أيضاً.

وقد يرجح قراءة ((مالك)) ، لأن المالكية تشمل ملكية الأجزاء والجزئيات، بخلاف((مَلِكْ)) فإن الملكية هي التسلط على الكل. مضافاً إلى أن قراءة ((مالك)) هي الأوفق بالعرف.

---

(١) مصباح الفقاهة: ص٢٣- ص٢٥.

ثانيا : ((يوم)) .

المفردة الثانية التي ينبغي توضيحها في الآية هي مفردة ((يوم))، فقد جعل اليوم متعلقاً للفظ ((مالك))، أي أن المملوك لذلك المالك هو ((يوم الدين))، فما هو اليوم وما معناه ؟

ذكر أهل اللغة أن (اليوم) يبدأ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[١] — وهذا هو المشهور شرعاً — وقد يراد باليوم (الوقت مطلقاً) كما تقول: أيام العيد أو أيام المحن أو غير ذلك.

وقال بعض المحققين: إن الأصل الواحد في المادة: هو زمان محدود مطلق، قليلاً أو كثيراً، في مادي أو ما وراء المادة، من نهار أو أعم منه ومن الليل[٢].

وقد يطلق اليوم ويراد به النهار في مقابل الليل، كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾[٣]. أو قوله عزّ وجل : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّام أُخَرَ.. ﴾[٤].

وأما إطلاقه فيما يعم الليل والنهار، فقد أشير إليه بقوله تعالى: ﴿...قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ... ﴾[٥].

وقد استعمل لفظ (اليوم) في الأمور الخارجة عن واقع الزمان، أو قل ما وراء المادة التي لا زمان فيها، كما في قوله تعالى : ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)) أو

---

(١) العين : ج٨،ص٤٣٣، مادة (يوم).

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ص٢٨٠ .

(٣) سبأ : ١٨.

(٤) البقرة : ١٨٤.

(٥) البقرة: ٢٤٩.

قوله : ﴿...وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[١]، أو قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ... ﴾[٢].

ومن الواضح أن اليوم الزماني لابد أن يكون محدوداً بحدود الزمان إما النهار، أو الليل، كما هو الشائع حالياً، حيث يقصد من اليوم عند العرف مقدار (٢٤) ساعة، يبدأ من الساعة الثانية عشر في منتصف الليل وينتهي إلى مثلها في الليل اللاحق.

وأما اليوم في الإصطلاح العام فلا يقصد به الزمان المحدود بحدود الليل والنهار وإنما الأعم منه. فهو عبارة عن قطعة من الوقت أو قطعة زمانية لها وقت، هذا إذا كان في عالم المادة. وأما إذا كان خارجاً عن عالم المادة فإنه عبارة عن مقدار الفعل. ولا شك أن الفعل في ذلك العالم ليس له مقدار تدريجي بل هو أمر دفعي، قال تعالى : ﴿إنما أَمْرُهُ إذا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣]، وكذا قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٤].

نعم الأظهر أن المقصود من اليوم عموماً هو البرهة من الزمان سواء قلّت أو كثرت. ولا يسمّى يوماً إذا كان خارجاً عن الزمان إلا مجازاً، كما في قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٥]. فانه تشبيه ومجاز .

---

(١) الحج : ٤٧.

(٢) الاعراف :٥٤.

(٣) يس :٨٢.

(٤) القمر : ٥٠.

(٥) الحج :٤٧.

ذكر الشيخ الطبرسي في تفسيره أقوالاً في هذا التشبيه منها: أن المعنى وأن يوماً عند ربك وألف سنة في قدرته واحد، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وبين تأخره في القدرة، إلا أنه سبحانه تفضل بالإمهال إذ لا يفوته شيء. ومنها : أن يوماً واحداً كألف سنة في مقدار العذاب، لشدته و عظمته كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة وكذلك نعيم الجنة لأنه يكون في مقدار يوم من أيام الجنة من النعيم والسرور مثل ما يكون في ألف سنة من أيام الدنيا لو بقي منعم فيها . ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله، وهذا كما يقال في المثل: أيام السرور قصار و أيام الهموم طوال وقال الشاعر:

يطول اليوم لا ألقاك فيه .... وحولٌ نلتقي فيه قصيرُ [1].

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره : وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ حكمٌ بتساوي اليوم الواحد والألف سنة عند الله سبحانه، فلا يستقل هذا ولا يستكثر ذلك حتى يتأثر من قصر اليوم الواحد و طول الألف سنة، فليس يخاف – أي الله تعالى – الفوت حتى يعجل لهم العذاب بل هو حليم ذو أناة يمهلهم حتى يستكملوا دركات شقائهم، ثم يأخذهم فيما قدر لهم من أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون[2].

إستدراك :

ما تقدم من بيان في معنى اليوم إنما هو إذا فرضنا أن لفظ اليوم أريد به معناه اللغوي أو معناه العرفي العام أو معناه الفلسفي أو الفقهي. ولكن إذا

---

(١) تفسير مجمع البيان : ج٧،ص١٦١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج١٤،ص٣٨٩.

إستطعنا أن نعرف أن لفظ اليوم بالإصطلاح القرآني له بعد أكبر من هذه المحدودية التي ذكرناها لتشمل العوالم المختلفة والإشكال المتنوعة، لاستطعنا الوصول إلى المعنى المراد قرآنياً.

والذي يمكن أن نفهمه من خلال التدبر في القرآن الكريم واستعمالاته المختلفة: إن اليوم هو عبارة عن ظرف وقوع الفعل، ولا ريب أن المقصود من الظرف هو الظرف الزماني. وأما الزمان فسوف يكون هو عبارة عن المقدار الذي يستغرقه وقوع الفعل أو الحدث طال أو قصر.

ثالثا: ((الدين)).

المفردة الثالثة التي نريد بيانها هي لفظ ((الدين)) فما المقصود منها ؟

ذكر أهل اللغة معان كثيرة لمفردة الدِّيْن منها: الجَزاءُ، والإِسْلام، والعادةُ، والعِبادةُ، والمُوَاظِبُ من الأَمْطَارِ، أو اللَّيِّنُ منها، والطاعةُ، كالدِّيْنَة، بالهاء فيهما، والذُّلُّ، والداءُ، والحِسابُ، والقَهْرُ، والغَلَبَةُ، والإسْتِعْلاءُ، والسلطانُ، والمُلْكُ، والحُكْمُ، والسِّيرَةُ، والتَّدْبيرُ، والتَّوْحيدُ، وإسْمٌ لجميعِ ما يُتَعَبَّدُ اللهُ عَزَّ وجلَّ به، والمِلَّةُ، والوَرَعُ...[1].

ولا شك بأن المراد به هنا – أي في الآية – هو يوم الحساب والجزاء كما في قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]، أو قوله : ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

---

(١) القاموس المحيط : ج٤،ص٢٢٥.

(٢) غافر: ١٧.

(٣) الجاثية :٢٨.

ومن هنا يتبين أنه لماذا سمّي يوم القيامة بيوم الدّين، فإن يوم القيامة هو يوم الجزاء، ويوم الحساب، ويوم إستيفاء الحقوق انطلاقاً من مبدأ العدل الإلهي.

وبالإلتفات إلى ما بيناه قبل قليل من معنى اليوم من حيث إنه قطعة من الزمن، يتضح المعنى أكثر، حيث يكون معنى يوم الدين أي ذلك الزمان الذي يقوم فيه الناس للحساب والجزاء.

ولابد من التوجه إلى نكتة مهمة جداً، وهي إن الحساب مقدّم على الجزاء لأنه مترتب عليه، فلابد أولاً من الحساب ثم بعد ذلك يكون الجزاء. وعليه فتسمية يوم القيامة بيوم الجزاء من باب تسمية العلة بإسم معلولها، كما نقول عن الحديدة الحارة بأنها نار، ولكن الواقع أنها حارة والنار علة لها، فقد سمينا المعلول بإسم علته للعلاقة الوثيقة والترتب القهري. وكأن القرآن يريد أن يقول: بأن الحساب سوف يترتب عليه جزاء وهو المطلوب، أما نفس الحساب فهو مقدمة ووسيلة ليس إلا وهو غير مقصود بذاته. وهذا له بعد عقائدي سوف نتعرف عليه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

هذا ما يرتبط بمفردة (الدين) من ناحية معناها اللغوي.

المطلب الثاني : إشارات وتنبيهات

الإشارة الأولى : إتباع الأوصاف الثلاثة المتقدمة بهذا ليس لمجرد سرد صفات من صفاته تعالى، بل هو مما أثارته الأوصاف المتقدمة، فإنه لما وصف تعالى بأنه: رب العالمين، الرحمن الرحيم، وكان ذلك مفيداً لما قدمناه من التنبيه على كمال رفقه تعالى بالمربوبين في سائر أكوانهم، ثم التنبيه بأن تصرفه تعالى في الأكوان والأطوار تصرف رحمة عند المعتبر، وكان من جملة تلك التصرفات تصرفات الأمر والنهي المعبر عنها بالتشريع الراجع إلى حفظ مصالح الناس عامة

وخاصة، وكان معظم تلك التشريعات مشتملاً على إخراج المكلف عن داعية الهوى الذي يلائمه إتباعه وفي نزعه عنه إرغام له ومشقة، خيف أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة في فاتحة الكتاب مخففاً عن المكلفين عبء العصيان لما أمروا به ومثيراً لأطماعهم في العفو عن إستخفافهم بذلك وأن يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكّدة فلا يخشوا غائلة الإعراض عن التكاليف، لذلك كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحكم في يوم الجزاء: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾[1]، لأن الجزاء على الفعل سبب في الأمتثال والإجتناب لحفظ مصالح العالم، وأحيط ذلك بالوعد والوعيد، و جعل مصداق ذلك الجزاء يوم القيامة، و لذلك أختير هنا وصف ملك أو مالك مضافاً إلى يوم الدين. فأما ملك فهو مؤذن بإقامة العدل وعدم الهوادة فيه لأن شأن الملك أن يدبر صلاح الرعية و يذب عنهم، ولذلك أقام الناس الملوك عليهم. و لو قيل رب يوم الدين لكان فيه مطمع للمفسدين يجدون من شأن الرب رحمة وصفحاً، وأما مالك فمثل تلك في إشعاره بإقامة الجزاء على أوفق كيفياته بالأفعال المجزى عليها [2].

الإشارة الثانية : المالك من له الملك، وملك الحق سبحانه وتعالى قدرته على الإبداع، فالملك مبالغة من المالك وهو سبحانه الملك المالك، وله الملك. و كما لا إله إلا هو فلا قادر على الإبداع إلا هو، فهو بإلهيته متوحد، وبملكه متفرد، ملك نفوس العابدين فصرفها فى خدمته، وملك قلوب العارفين فشرّفها بمعرفته، وملك نفوس القاصدين فتيّمها، وملك قلوب الواجدين فهيّمها. ملك

---

(١) غافر: ١٧.

(٢) التحرير و التنوير، ج١، ص: ١٧٢.

أشباح من عبده فلاطفها بنواله وأفضاله، وملك أرواح من أحبهم فكاشفها بنعت جلاله، ووصف جماله. ملك زمام أرباب التوحيد فصرفهم حيث شاء على ما شاء ووفّقهم حيث شاء على ما شاء كما شاء، ولم يكلهم إليهم لحظة، ولا ملّكهم من أمرهم سنّة ولا خطرة، وكان لهم عنهم، وأفناؤهم له منهم[١].

الإشارة الثالثة : مالك يوم الدين ملك قلوب العابدين إحسانه فطمعوا في عطائه، وملك قلوب الموحدين سلطانه فقنعوا ببقائه. عرّف أرباب التوحيد أنه مالكهم فسقط عنهم إختيارهم، علموا أن العبد لا ملك له، ومن لا ملك له لا حكم له، ومن لا حكم له لا إختيار له، فلا لهم عن طاعته إعراض ولا على حكمه إعتراض، ولا في إختياره معارضة، ولا لمخالفته تعرّض، «و يوم الدين»[٢].

الإشارة الرابعة : عن الزهري قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): ((لو مات بين المشرق والمغرب- لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي، كان إذا قرأ: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ يكررها و يكاد أن يموت))[٣].

الاشارة الخامسة : عن مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ أمير المؤمنين عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) قَالَ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَ: قَسَمْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي فَنِصْفُهَا لِي وَ نِصْفُهَا لِعَبْدِي وَ

(١) لطايف الإشارات، ج١، ص: ٤٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير العيّاشي : ج١،ص٢٢.

لِعَبْدِي مَا سَأَلَ إذا قَالَ الْعَبْد . إلى أن قال : فَإذا قَالَ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أُشْهِدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ أَنِّي أَنَا مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ لَأُسَهِّلَنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ حِسَابَهُ وَ لَأَتَجَاوَزَنَ عَنْ سَيِّئَاتِه))[1].

التنبيه الأول: قد يسأل سائل فيقول: لماذا وصفنا اللّه بأنه مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ بينما هو مالك الكون كله؟

والجواب هو : أنّ اللّه مالك لعالم الدنيا والآخرة، لكن مالكيته ليوم القيامة أبرز وأظهر، لأن الإرتباطات المادية والملكيات الإعتبارية تتلاشى كلها في ذلك اليوم، وحتى الشفاعة لا تتم يومئذ إلا بأمر اللّه: ﴿ **يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الأمر يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴾[2].

بتعبير آخر: قد يسارع الإنسان في هذه الدنيا لمساعدة إنسان آخر، و يدافع عنه بلسانه، ويحميه بأمواله، وينصره بقدرته وأفراده، وقد يشمله بحمايته من خلال مشاريع ومخططات مختلفة، لكن هذه الألوان من المساعدات غير موجودة في ذلك اليوم. من هنا حين يوجه هذا السؤال إلى البشر: ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ يجيبون: لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾[3].

الإيمان بيوم القيامة، و بتلك المحكمة الإلهية الكبرى التي يخضع فيها كل شيء للإحصاء الدقيق، له الأثر الكبير في ضبط الإنسان أمام الزلات، ووقايته من السقوط في المنحدرات، وأحد أسباب قدرة الصلاة على النهي عن

---

(١) عيون أخبار الرضا : ج ٢،ص٢٧٠.

(٢) الانفطار، ١٩.

(٣) غافر : ١٦.

الفحشاء والمنكر هو أنها تذكر الإنسان بالمبدأ المطّلع على حركاته وسكناته و تذكّره أيضاً بمحكمة العدل الإلهي الكبرى.

التركيز على مالكية اللّه ليوم القيامة يقارع من جهة أخرى معتقدات المشركين ومنكري المعاد، لأن الإيمان باللّه عقيدة فطرية عامة، حتى لدى مشركي العصر الجاهلي، وهذا ما يوضحه القرآن إذ يقول: ﴿وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الأرض لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[١]. بينما الإيمان بالمعاد ليس كذلك، فهؤلاء المشركون كانوا يواجهون مسألة المعاد بعناد وإستهزاء ولجاج: ﴿ وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ، أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ام بِهِ جِنَّةٌ ﴾[٢]،[٣].

التنبيه الثاني : إنما سمّي يوم الآخرة يوم الدين لأنّ فيه وصول الأشياء إلى غاياتها الذاتيّة وثمراتها التي هي بمنزلة الجزاء والأجرة على الأعمال لقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾[٤]، ولهذا قيل: الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء، كما في قوله: ﴿ هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾[٥]، لأنّ الأولى عالم الحركات والإنقلاب في الأطوار و الأخرى هي الموطن والمأوى وهي دار القرار ومنزل الأبرار و الأشرار.

---

(١) لقمان : ٢٥.

(٢) سبأ : ٧-٨.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص: ٤٧.

(٤) غافر : ١٧.

(٥) يونس : ٣٠ .

ولهذا قال أبو علي الجبائي: أراد بيوم الدين يوم الجزاء على الدين، وقال محمّد بن كعب: أراد يوم لا ينفع إلّا الدين[1].

(١) تفسير القرآن الكريم : ملا صدرا، ج١، ص: ٨٥ .

المبحث الخامس

تفسير قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)

بعد الحديث عن الآيات الأربع السابقة وصل بنا البحث إلى الآية الخامسة وهي قوله عز وجلّ: ﴿ إياك نعبدُ وإياكَ نستعين ﴾.

وسيكون كلامنا حول الآية الشريفة من خلال جهتين رئيسيتين.

الجهة الأولى: مفردات الآية الشريفة.

سنحاول في هذه الجهة تسليط الضوء على المعاني اللغوية والإصطلاحية لمفردات الآية الكريمة وهي تتمثل بثلاث مفردات هي : إياك، نعبد، نستعين.

أولا: مفردة : (إياك)).

(إيّاك) كلمة متكونة من مقطعين، الأول (إيّا) وهو ضمير بارز منفصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدّم للإختصاص. والثاني (الكاف) حرف خطاب لا محلّ له من الإعراب[1].

و(إيّاك) تدل على الإختصاص بمعنى حصر وإختصاص متعلقها بالمخاطب. فحينما أقول: إيّاك عنيت بكلامي، فإن معناه بأني لا أريد بكلامي أحداً سواك. وهكذا حينما أقول : ((إيّاك نعبد)) معناه بأني لا أعبد غيرك يا

---

(١) إعراب القرآن وبيانه: ج١،ص٣٠.

رب العالمين، وحينما أقول: ((إيّاك نستعين)) معناه بأني لا أستعين بأحد سواك يا رب.

فالعبادة والإستعانة تنحصر بالمخاطب والمشار اليه بحرف (الكاف) وهذا المعنى لا يؤديه مثل قولنا : (نعبدك ونستعينك)، فإنه ليس فيه هذا الإنحصار، لأنه يمكن أن تتحقق المشاركة لغيره في هذه الصورة، وهو شبيه بقولي لشخص ما: (أريد مساعدتك) ، فإنه لا يفهم منه إنحصار مساعدتي له فقط، بل يمكن لي أن أساعد غيره أيضاً. بخلاف قولي له مثلاً: لا أريد أن يساعدني أحد سواك فانه يفيد الإنحصار كما لا يخفى.

ولنفس هذه النكتة قدمت (إيّاك) على (نعبد) ، وكذا قدمت على (نستعين)، فإنه يمكن لشخص أن يقول : لماذا لم يقل : (نعبد إياك) أو (نستعين إياك) ؟

فنقول: إذا تأخر المفعول وهو (إيّاك) على الفعل في المورد فسوف لن يتحقق الحصر الذي هو المطلوب. وسنذكر فيما بعد بعض الوجوه اللطيفة في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

ثانيا: مفردة : ((العبادة)).

العبادة في اللغة تأتي لأحد معان ثلاثة[1]:

الأول: الطاعة، ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾[2].

فإن عبادة الشيطان المنهي عنها في الآية المباركة هي طاعة الشيطان .

---

(١) أنظر كتاب : العين :ج٤،ص٩٠. وكتاب: المخصص : ج٤،ق١، السفر الثالث عشر، ص٩٦.

(٢) يس : ٦٠.

الثاني: الخضوع، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾[1]. أي خاضعون متذللون.

الثالث: التألّه، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾[2]. بمعنى أتخذه إلهاً وأتقرب غليه بالخضوع والطاعة وأداء المناسك.

وهذا المعنى الثالث – التألّه – هو الذي ينصرف إليه لفظ العبادة إذا أطلق. وأما المعاني الأخرى فتعرف من خلال القرائن.

ثالثا: مفردة : ((**نستعين**)) .

الإستعانة في اللغة هي : طلب المعونة. والعون هو الظهير على الأمر، فأعانه أي ساعده في تحصيل غرضه ومراده[3].

الجهة الثانية : بحوث الآية الشريفة.

البحث الأول: إختصاص العبادة بالله تعالى.

لاشك بأن العبادة بمعنى التألّه مختصة بالله تعالى، لأنه هو خالق هذا العالم وهو ربّه المدبّر لأموره وهو الذي بيده أزمّة الأمور. فغيره مهما كان هو فقير ومحتاج إليه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. ولذلك كانت حركة الأنبياء والرسل، وعلة نزول الشرائع والكتب إنما هو إخراج الناس من عبادة غير الله إلى عبادته وحده لا شريك له. قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

---

(١) المؤمنون : ٤٧.

(٢) الرعد : ٣٦.

(٣) لسان العرب:ج٩،ص٤٨٤.

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[١]، وقال أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

فلا يصح للإنسان أن يتخذ معبوداً سوى الله سبحانه، لأنه الخالق والمدبّر، وهو الذي يملك الخير والشّر للإنسان وغيره من المخلوقين. فالعبادة ترتبط بالإلوهية والربوبية إرتباطاً وثيقاً. فمن كان خالقاً وربّاً يجب عبادته، ومن ليس كذلك لا يستحق أن يعبد.

ولابد من التوجه إلى أن سبب إنحصار وإختصاص العبادة بالله تعالى تنبع وتنطلق من عدة أسباب:

الأول: لكون الله تعالى هو الخالق للكون والعالم وكل شيء ولا يوجد خالق سواه تعالى مطلقاً، كما ثبت ذلك بالأدلة العقلية والنقلية.

قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[٣]. فهذه الآية الشريفة تريد أن تؤكد بأن الله تعالى هو المتفرّد في خلق كل الاشياء ولا خالق سواه، وبما أنه كذلك فلابد أن يكون التوجه بالعبادة منحصراً به تعالى أيضاً.

الثاني: لكون الله تعالى هو ربّ العالمين، وهو المدبّر لشؤون الخلق والمتصرف فيه بأنواع التصرفات كالموت والحياة والرزق والصحة والنعم المختلفة. فما دام هو المدبّر وهو الرب فلا معنى أن نعبد غيره مما لا يملك لنا نفعاً أو ضراً.

---

(١) البينة: ٥ .

(٢) البقرة: ٢١.

(٣) الأنعام : ١٠٢.

قال تعالى : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(١)، وقال عز وجل أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾(٢)، وقال أيضاً : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *** لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

الثالث: باعتبار كونه تعالى هو المالك للإنسان وغيره من الموجودات، فعلاقة خلقه معه هي علاقة المالك مع المملوك، ومن واجب المملوك هو عبودية المالك، لأنه عبد له واقعاً وحقيقة، خصوصاً وإننا ذكرنا بأن مالكية الله تعالى مالكية حقيقية، بخلاف مالكية غيره فإنها مالكية مجازية أو قل مالكية إعتبارية .

فجميع خلق الله ما هم إلا عبيد مملوكون لله تبارك وتعالى وهو مالكهم، وأن أعناق كل الخلائق خاضعة له تعالى. قال عزّ وجلّ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤).

إذن: هذه المنطلقات هي التي تصحح فكرة ضرورة عبادة الله وحده وعدم صحة عبادة غيره، لأنه لا يستحق العبادة وليس لائقاً بها. وقد دلت على ذلك جملة من الآيات الكريمة التي ذكرنا بعضاً منها من زاوية كونه تعالى هو أحق

---

(١) هود : ٦١.

(٢) آل عمران : ٥١.

(٣) الأنعام:١٦٢-١٦٣.

(٤) آل عمران: ٢٦.

من غيره بالعبادة بإعتباره خالقاً وربّاً ومالكاً و...، وإليك من الآيات الأخرى ما يدلل على بطلان عبادة غيره لأكثر من عامل وسبب:

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1]، وهذا بيان صريح في عدم أهلية غيره للعبادة لكونه عاجزاً عن دفع الضرر أو جلب النفع لكم.

وهنا نلاحظ الآية تعرض أسلوب الإستفهام الإستنكاري القاضي بالتعجب من فعلهم وهو من الأساليب البلاغية في إيقاظ الفطرة الإنسانية.

وكذا قوله تعالى في آية أخرى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، حيث إنها تلقّن النبي (صلى الله عليه وآله) بأن العبادة إذا كان غرضها خوف الموت وما بعد الموت فيجب أن تكون موجهة إلى من بيده الموت والحياة وهو الله تعالى. في حين أن الذين تعبدونهم ليس بيدهم ذلك بل هي أصنام حجرية أو خشبية لا تعي ولا تفهم وليس فيها حياة أساساً، وإنما الله وحده الذي بيده كل ذلك، وهو الذي يتوفاكم، فلا معنى لعبادة غيره والخضوع له.

وفي آية ثالثة نرى التصريح في بيان سبب عدم أهلية غير الله تعالى للعبادة من خلال عدم قدرتهم على جلب النفع أو دفع الضر عن غيرهم، قال تعالى:

---

(١) المائدة : ٧٦.

(٢) يونس:١٠٤.

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ *** أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

والخلاصة: إن الخالق والرب والمالك ومن بيده أزمة الأمور هو الذي يستحق العبادة وحده، وهذه الصفات منحصرة بالله تبارك وتعالى وحده لا شريك له.

البحث الثاني : إختصاص الإستعانة بالله تعالى.

هنا نريد أن نطرح هذا السؤال وهو : هل تجوز الإستعانة بغير الله تعالى مطلقاً أم لا تجوز مطلقاً ؟ أو يفصل: بين ما إذا كانت الإستعانة في الأمور المادية أو المعنوية الدنيويه فتجوز، وبين ما إذا كانت الإستعانة في الأمور الأخروية، وفيما يرجع إلى إتخاذ المستعان إلاهاً فلا تجوز ؟ .

إختلاف ما بين العلماء في تقريب ذلك، ويمكن تقسيم الإتجاهات في هذه المسألة إلى ثلاث:

الإتجاه الأول: القول بالمنع المطلق.

ذهب أصحاب هذا الإتجاه إلى المنع المطلق من الإستعانة بغير الله تعالى. وقالوا بأن مقتضى التوحيد هو عدم الإستعانة بغيره عز وجل ولأسباب واضحة منها:

إن كل ما عداه فقير في نفسه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، بل هو لا يملك أن يعين نفسه فكيف يعين غيره. وكما قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعائه : ((اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك ، وأقبلت بكلي عليك ، وصرفت وجهي عمّن يحتاج إلى رفدك، وقلبت

---

(١) الأنبياء :٦٦-٦٧.

مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك ، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه، وضلة من عقله))[١]، وعن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه (عليهما السلام) قال: ((قال الفضل بن العباس : أهدي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغلة أهداها له كسرى أو قيصر فركبها النبي (صلى الله عليه وآله) بجل من شعر وأردفني خلفه ، ثم قال لي : يا غلام أحفظ الله يحفظك ، وأحفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله عز وجل في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله عز وجل ، فقد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بأمر لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو جهدوا أن يضروك بأمر لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه...))[٢].

هذا مضافاً إلى أن الآية الشريفة – أي إيّاك نعبد وإيّاك نستعين – مفادها إنحصار الإستعانة بالله تعالى كما هو حال إنحصار العبادة به تعالى.

الإتجاه الثاني : جواز الإستعانة بغير الله مطلقاً.

وفي مقابل الإتجاه السابق نجد إتجاها ثانياً يجيز الإستعانة بغير الله بشكل مطلق مستنداً في ذلك إلى ما يلي:

إن الإنسان لا يخلو في جميع حالاته من الإستعانة بآخرين ابتداءً من يوم ولادته إلى يوم وفاته، وفي أغلب شؤون حياته، فكل إنسان من أجل أن يؤمّن مصالحه وحاجاته الأساسية وغير الأساسية فلابد أن يمد يده للآخرين، فهو يحتاج مثلاً: إلى الفلاح ليعطيه الخضروات والحبوب المختلفة والفواكه وغيرها،

---

(١) الصحيفة السجادية (ابطحي): ص١٤٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٤،ص٤١٢.

وكذلك يحتاج إلى الطبيب للعلاج ، وإلى النجار لصناعة لوازمه من الخشب، والحداد والبنّاء وغير ذلك، وكما قال المعرّي:

الناسُ للنّاسِ مِنْ بَدْوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خَدَمُ [1]

وهذا أمر فطري ووجداني لا ينكره إلا من أعمى الله بصيرته . بل كل إنسان أفعاله وحياته تدلل أنه لابد له أن يستعين بالآخرين في جملة من أمور حياته. وقد أكدت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة هذه الحقيقة و لم تمنع من الإستعانة بالآخرين بل أجازتها عموماً.

قال تعالى : ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]. وفي حديث الإمام الصادق (عليه السلام) نراه يذكر لنا بعض صفات المرأة الصالحة وهي أن تكون معينة لزوجها على دهره وهذا مصداق من مصاديق الإستعانة بالغير. عن إبراهيم الكرخي قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إن صاحبتي هلكت وكانت لي موافقة وقد هممت أن أتزوج ، فقال لي : ((أنظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرك، فإن كنتَ لابد فاعلاً فبِكْراً تُنسَبُ إلى الخير وإلى حُسن الخلق، واعلم أنهنَّ كما قال الشاعر:

ألا إن النساءَ خُلقنَ شتى * فمِنهُنَّ الغنيمةُ والغرامُ

ومِنهُنَّ الحلالُ إذا تجلّى * لصاحبه ومِنهُنَّ الظلامُ

فمَنْ يظفرْ بصالحهِنَّ يسعد * ومَنْ يُغبَنْ فليس له انتقامُ

---

(١) بلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ، ص ١٩٠ ، والبيت لأبي العلاء المعري في ديوانه (اللزوميات) ؛ ونقله أيضاً عبد اللطيف البغدادي بعنوان (قيل) في كتابه الشفاء الروحي ، ص ١٠٨ ، ولكن بدل كلمة (وحاضرة) جاء (ومن حاضر) .

(٢) المائدة : ٢.

وهُنَّ ثلاث فامرأة ولود ودود ، تعين زوجها على دهره لدنياه وآخرته ولا تعين الدهر عليه، وامرأة عقيمة لا ذات جمال ولا خلق ولا تعين زوجها على خير، وإمرأة صخّابة ولاّجة همّازة ، تستقل الكثيرَ ولا تقبل اليسيرَ))[1].

بل نلاحظ القرآن الكريم يعرض لنا مشهداً من مشاهد طلب المعونة والإستعانة بغير الله تعالى من قبل بعض الأنبياء والمرسلين من دون أي إعتراض من الله، كما حصل هذا في طلب موسى النبي (عليه السلام) قال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي *** هَارُونَ أَخِي *** اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *** وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي *** كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا *** وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا *** إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا *** قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[2]. وعلى هذا الأساس فإن الإستعانة بغير الله لا مشكلة فيها أبداً.

الإتجاه الثالث: القول بالتفصيل.

لقد حاول البعض أن يفصّل ما بين الأمور المتعلقة بالدنيا فتجوز الإستعانة فيها بغير الله تعالى، وبين الأمور المتعلقة بالآخرة فلا تجوز الإستعانة فيها .

وكذلك حاول البعض أيضاً أن يفصّل بين الأمور المادية فتجوز فيها الإستعانة، وبين الأمور المعنوية فلا تجوز.

وذهب ثالث إلى التفصيل بين طلب الإستعانة في الأمور العبادية فلا يجوز، وبين طلب المعونة في الأمور العادية فيجوز.

أقول: إن المسألة لا تحتاج إلى كل تلك المحاولات غير المجدية، فإننا قد عرفنا من خلال الآيات والروايات والبراهين المختلفة والوجدان أيضا؛ إمكان

---

(١) الكافي: ج٥،ص٣٢٣.

(٢) طه: ٢٩-٣٦.

طلب الإستعانة من غير الله تعالى في كل تلك الأمور سواء المادية والمعنوية، وسواء الدنيوية منها أو الأخروية، وسواء كانت عبادية أو عادية، من غير أشكال في ذلك كله.

ولكن هناك تفصيل رابع يمكن أن يحلّ المشكلة – على فرض كونها مشكلة بزعم البعض- ويحدد لنا خط التوحيد من خط الشرك وهو كما يلي:

لابد من التأكيد على أن الإنسان حينما يطلب عوناً من مخلوق معينٍ مثلاً سواء كان إنساناً أو مَلَكاً أو حيواناً أو آلة أو غير ذلك فله حالتان:

الحالة الاولى: أن يعتقد أن ذلك الشيء هو الذي يحقق المطلوب بنفسه. أي أن له إستقلالية في التأثير في حصول المطلوب، كمن يشرب الدواء بإعتقاد أن الدواء بنفسه قادر على شفائه من المرض، أو يركب السيارة بإعتقاد أن السيارة بنفسها قادرة على إيصاله إلى مقصوده ، أو يجهز العدة والعتاد والجنود والأفراد ويعتقد أن ذلك بنفسه قادر على تحقيق النصر له، وغير ذلك من الأمثلة الأخرى الكثيرة.

وهذا بلا شك مخالف لعقيدة التوحيد والإعتقاد بأن لا مؤثر في هذا الوجود غير الله تعالى على نحو الإستقلال، ومن يعتقد بهذا فهو مشرك بلا شك.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يقول الله عز وجل : ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من دونه فان سألني لم أعطه ، وإن دعاني لم أجبه، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي

إلا ضمنت السماوات والأرض رزقه، فإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته ، وإن استغفرني غفرت له))[١].

بل إن الإستعانة بغير الله عبارة عن فعل لا نتيجة له وهو عبث ليس إلا؛ ولذا قال تعالى موجهاً خطابه إلى كل الناس : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[٢].

ثم بين أن طلب الإستعانة تستلزم أن يكون المعين ذا قدرة وقوة لتحقيق المطلوب في حين أن القوة منحصرة بالله تعالى وكل ما عداه ضعيف يحتاج إلى معونة بنفسه، وهذا ما عناه قوله تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣].

فالإعتصام والتوكل والإستعانة بمعناها الحقيقي إنما تكون بالله تعالى، فمنه نطلب ولا نطلب من سواه، فهو المعين وهو الناصر والخالق والرازق والمغني والمقني والمميت والمحيي...الخ

اللهم أنت المعين واليك نتوجه ونقول: ((إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين)) ولا نعتقد بأن غيرك قادر على إعانة نفسه فكيف بإعانتنا ؟!

الحالة الثانية: أن يعتقد أن المؤثر والمسبب الحقيقي إنما هو الله تعالى، وأن كل ما عداه إنما هي وسائل وأبواب جعلها الله تعالى لتحقيق قدرته وتأثيره في هذا العالم.

---

(١) روضة الواعظين: ص٤٢٦.

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) الحج:٧٤.

فالمؤثر الحقيقي الوحيد هو الله تبارك وتعالى كما أشارت الآية الشريفة : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[1]، وان كل ما عـــداه آلات بيـــده يحركها كيف يشاء فهو الذي يشفي ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ *** وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[2]، ولكن إشفائه تارة يكون بواسطة الدواء، وأخـــرى بواسطة الدعاء، وثالثة بواسطة الصدقة، ورابعة بشيء من تربة أبي عبـــد الله الحسين (عليه السلام)، وغير ذلك من الأسباب التي إرتضاها الله تعالى... وله تعالى إن شاء أن يشفي المريض من غير واسطة أصلاً.

وبالتالي فالإنسان المؤمن حينما يستعين بغير الله تعالى لا يعني أنه يستعين به بعنوان كونه المعين له حقيقة وبشكل مستقل، وإنما بعنوان كونه أحد الطـــرق التي جعلها الله تعالى، كما إقتضت حكمته أن يرفع العطش بواسطة الماء، وأن يرفع الجوع بواسطة الطعام، وأن يرفع البرد بواسطة الحرارة وهكذا.

فالإستعانة بغير الله بإعتقاد عدم التأثير الاستقلالي غير خادشـــة بعقيـــدة التوحيد، وغير منافية لقوله تعالى : ((إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين)).

نحن إيّاه نستعين ولا نستعين بغيره، لأن غيره فقير في وجوده وتأثيره بغيره فلا يصلح أن يكون مستعانا حقيقة، وإنما هو واسطة وطريق ليس إلا.

نعم يمكن أن نستعين بأولياء الله الذين جعلهم الله تعالى وسيلة للوصـــول اليه، ولطلب رحمته ومغفرته، وهو من باب الشفاعة. إن هذه الواسطة مرخص بها من قبل الله تعالى أن تشفع فتشفّع؛ لأن لها الكرامة والمقبولية لدى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ *** لَـــا

---

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) الشعراء:٧٩-٨٠.

يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ *** يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[1]. بل إن هذا ليس مختصاً ومنحصراً في الدنيا. وإنما يمتد ليشمل عالم الآخرة. بل إن في عالم الآخرة يتحقق ويظهر بشكل أكبر، إلى درجة انه يصل إلى ما بعد الحساب والجزاء، لكي يجد الإنسان من ينتشله من عذاب الله تعالى. كما روي عن جابر ، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) ، قال : ((إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً ، والخريف سبعون سنة . قال : ثم إنه سأل الله عز وجل : بحق محمد وأهل بيته لما رحمتني . قال : فأوحى الله جل جلاله إلى جبرئيل : أن إهبط إلى عبدي فأخرجه . قال : يا رب ، وكيف لي بالهبوط في النار ؟ قال : إني قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً . قال : يا رب ، فما علمي بموضعه؟ فقال عز وجل : إنه في جب من سجين . قال : فهبط في النار فوجده وهو معقول على وجهه فأخرجه ، فقال عز وجل : يا عبدي ، كم لبثت تناشدني في النار ؟ قال : ما أحصيه يا رب . قال : أما وعزتي لولا ما سألتني به لأطلت هوانك في النار ، ولكنه حتمت على نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا غفرت له ما كان بيني وبينه ، وقد غفرت لك اليوم))[2].

البحث الثالث : نكات وإشارات.

إنطلاقا من قول الإمام الصادق(عليه السلام) : ((كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة ،واللطائف ، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة

---

(١) الأنبياء :٢٦-٢٨.

(٢) الأمالي ، الشيخ الصدوق: ص ٧٧١.

للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء))[١]، إرتأينا أن نتحدث عن بعض الإشارات المرتبطة بهذه الآية المباركة:

الإشارة الأولى : في وجه تقديم العبادة على الإستعانة.

لقد قدم الله تعالى لفظ العبادة على الإستعانة في الآية، فهل هذا مجرد تقديم لفظي خاضع لمعطيات الأسلوب البلاغي للقرآن، أم أن هناك سبباً يرتبط بالجانب الدلالي؟

لقد ذكر المفسرون أراءً مختلفة في هذا الموضوع لا تخرج عن كونها إستحسانات ذوقية قد تخلوا من الدليل . فمثلاً يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: وقد ظهر من ذلك كله : إن إظهار العبودية بقوله : ((إياك نعبد))، لا يشتمل على نقص من حيث المعنى ومن حيث الإخلاص إلا ما في قوله : ((إياك نعبد)) من نسبة العبد العبادة إلى نفسه، المشتمل بالإستلزام على دعوى الإستقلال في الوجود والقدرة والإرادة، مع أنه مملوك والمملوك لا يملك شيئا، فكأنه تدورك ذلك بقوله تعالى: ((وإياك نستعين)) ، أي إنما ننسب العبادة إلى أنفسنا وندعيه لنا مع الإستعانة بك لا مستقلين بذلك مدعين ذلك دونك ، فقوله : ((إياك نعبد وإياك نستعين)) ، لإبداء معنى واحد وهو العبادة عن إخلاص [٢].

وقيل: إن المقصود هو أننا نعبدك ولا نعبد غيرك، ولكن نستعين بك على تلك العبادة، بمعنى أنت الذي تعيننا على الإخلاص في العبادة، وأن تكون

---

(١) التفسير الصافي : ج١،ص٣١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١،ص٣٠.

عبادتنا لك دون سواك. وهذا معناه إنقطاع العبد إلى الله تعالى بالإستعانة به في كل شؤوناته وحالاته.

ولهذا المعنى أشار العلامة السيد الخوئي (قدس سره) بقوله : وبما ذكرناه يظهر الوجه في تأخير جملة : " إياك نستعين " عن قوله : " إياك نعبد " فإنه تعالى حصر العبادة بذاته أولاً ، فالمؤمنون لا يعبدون إلا الله ، ثم أبان لهم أن عباداتهم إنما تصدر عنهم بعون الله وإقداره ، فالعبد رهين إفاضة الله ومشيئته ، والله أولى بحسنات العبد من نفسه ، كما أن العبد أولى بسيئاته من الله[1].

وكذا ما ذكره ابن عاشور في تفسيره حيث قال: ووجه تقديم قوله (إياك نعبد) على قوله : (وإياك نستعين) أن العبادة تقرُّب للخالق تعالى، فهي أجدر بالتقديم في المناجاة، وأما الإستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه، فناسب أن يقدِّم المناجي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك، ولأن الإستعانة بالله تترتب على كونه معبوداً للمستعين به، ولأن من جملة ما تطلب الإعانة عليه العبادة فكانت متقدمة على الإستعانة في التعقل[2].

أقول:

إن المعنى الذي ذكروه وإن كان صحيحاً في نفسه، إلا انه لا شاهد عليه من ظاهر الآية الشريفة، ولا قرينة توجد في المقام تدل عليه أيضاً، وإن كان ذلك ممكنا بلحاظ المعرفة الباطنية واكتشاف بعض وجوه الآية الكريمة كما في سائر الآيات التي تستبطن معان كثيرة وعميقة، إلا أن تلك المعاني والمعارف

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ص٤٧٩.

(٢) التحرير والتنوير:ج١ ، ص١٨٤.

تخضع لمنطق التأويل لا إلى منطق التفسير، أو من باب التوسع في المعنى واستيحائه من النص المبارك للآية.

وأما التفسير الظاهري لوجه تقديم العبادة على الإستعانة في الآية المباركة، فالظاهر أنه باعتبار أن المشركين كان دأبهم أن يتشبثوا بالأصنام ويعبدونها ويستمدون منها قوتهم وسعادتهم وكأنهم في وقوفهم حذائها وخضوعهم لها يقولون : إياك نعبد وإياك نستعين.

فجاء الإسلام ونهاهم عن ذلك، وأمرهم أن يعبدوا الله وحده – الذي هو الرحمن الرحيم وهو مالك يوم الدين – من غير حاجة إلى توسيط الوسائط بينه وبين خلقه، وأمرهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يستعينوا به وحده، لأن العبادة والإستعانة لا تصح إلا لمن كان رب العالمين، ولا تصح إلا لمن وصف بكونه رحماناً رحيماً، ولا تصح إلا لمن كان مالكاً حقيقياً ليوم الدين ولكل شيء في الوجود.

فقدم العبادة على الإستعانة للإشارة إلى من كان أهلاً لها وهو من يستطيع المعونة؛ لأنه هو الذي يملك التأثير وأزمّة الأمور كلها بيده، فإذا أردت أن يعينك فلابد أولاً أن تعبده، وليس من المنطقي أن تطلب منه المعونة وأنت متمرد عليه وخارج عن طاعته أو عابد لغيره.

وعلى هذا الأساس اتضح الوجه في تقديم العبادة على الإستعانة وخلاصته:

١- إن ذلك رداً على المشركين الذين يعبدون الأصنام ويطلبون منها المعونة.

٢- أن من يستحق العبادة هو من كان يملك الإعانة ويقدر عليها من دون أن يدركه العجز على كرور الليالي والأيام.

٣- لأجل التنبيه بأن من لا يعبد الله تعالى ويمتثل أوامره لا ينتظر من الله عز وجل أن يعينه في أموره كلها – طبعا هذا على مستوى الإعانة بمفهومها الخاص- لأنه ليس أهلاً لذلك.

يجب التنبيه إلى أن هذا ليس نقصاً في عطاء الله وكرمه، بل لأن العبد بعيد عن محل رحمة الله وفيضه الخاص، وكما يقول الفلاسفة (العيب بالقابل دون الفاعل)، وعلى حدّ وصف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في دعاء السحر في شهر رمضان: ((وأعلم أنك للراجين بموضع إجابة، وللملهوفين بمرصد إغاثة، وأن في اللهف إلى جودك والرضا بقضائك عوضاً من منع الباخلين، ومندوحة عما في أيدي المستأثرين، وأن الراحل إليك قريب المسافة، وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك))[1].

وفي حديث رسول الله (صلى الله عليه آله) إشارة لما ذكرنا حيث قال: ((إن الله تعالى منَّ عليَّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنة فيها ...(إياك نعبد): إخلاص للعبادة ، (وإياك نستعين) : أفضل ما طلب به العباد حوائجهم...))[2].

٤- إن تقديم العبادة على الإستعانة لكون الإستعانة فرع العبادة. بمعنى أنه لابد على العبد أولاً أن يوحّد الله تعالى في العبادة ولا يشرك به شيئاً، ثم يطلب منه تعالى التوفيق والإستزادة والإدامة لتلك العبادة، حيث توجه فيها إلى الله ولم يطلب بها أحداً غيره عز وجل . وبهذا أمكن القول إن الأصل هي العبادة وهي بمثابة العرش، والإستعانة فرع وهي بمثابة النقش. وإلى هذا المعنى أشار

---

(١) مصباح المتهجد: ص٥٨٣.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج١،ص٧٢.

مولانا الإمام الرضا (عليه السلام) وهو يبين بعض العلل في تشريع بعض الأحكام الشرعية العبادية، من قبيل الأمر بالجهر في الصلاة والبدء بسورة الحمد و... ونحن ننقلها بنصها تعميماً للفائدة حيث قال(عليه السلام) موضحاً: ((: أمر الناس بالقراءة في الصلاة لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً، وليكن محفوظاً مدروساً فلا يضمحل ولا يجهل، وإنما بدء بالحمد دون سائر السور لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد، وذلك أن قوله عز وجل : " الحمد لله " إنما هو أداء لما أوجب الله عز وجل على خلقه من الشكر ، وشكر لما وفق عبده من الخير ، " رب العالمين " توحيد له وتحميد وإقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره ، " الرحمن الرحيم " إستعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه ، " مالك يوم الدين " إقرار له بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا ، " إياك نعبد " رغبة وتقرب إلى الله تعالى ذكره وإخلاص له بالعمل دون غيره ، " إياك نستعين " إستزادة من توفيقه وعبادته ، وإستدامة لما أنعم الله عليه ونصره " إهدنا الصراط المستقيم " إسترشاد لدينه ، واعتصام بحبله ، وإستزادة في المعرفة لربه عز وجل، " صراط الذين أنعمت عليهم " توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما قد تقدم من نعمه على أوليائه، ورغبة في مثل تلك النعم ، " غير المغضوب عليهم " إستعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به وبأمره ونهيه " ولا الضالين " إعتصام من أن يكون من الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، فقد

إجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة من أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء ...))[١].

الإشارة الثانية : سبب تكرار ((إياك)) في الآية.

قال الشيخ البلاغي (قدس سره) : وقد كررت كلمة (إياك) لوجهين:

الأول : للتصريح والنص على إنحصار كل من العبادة والإستعانة به . ولو قيل (إياك نعبد ونستعين) لأوهمت صورة اللفظ أن المنحصر هو مجموع الأمرين من العبادة والإستعانة لا كل واحد منهما.

والثاني : لأن الحصر فيهما مختلف فإنه بالنسبة للعبادة حصر لجميع أفرادها وبالنسبة للاستعانة حصر باعتبار بعض أفرادها[٢].

ولعله يقصد بذلك: إن الإستعانة بالغير من دون الاعتقاد بكونه مؤثراً مستقلاً لا يدخل في مصاديق الإستعانة الباطلة والتي تتقاطع مع مبدأ التوحيد كما بيّنا سابقاً، وهذا بخلاف العبادة لله تعالى فان جميع مصاديقها داخلة ومنحصرة به تعالى فلا يصح أن يتوجه العبد بعبادته إلى غير الله عز وجل.

فإذن هناك فرق بين العبادة والاستعانة. مضافاً إلى النكتة اللغوية في التكرار حيث أنه يفيد الحصر، وهذا له أمثلة كثيرة في القرآن كما في قوله تعالى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٣].

حيث أن الغرض هو التأكيد على كونه حقاً في مرتبة الإنزال وفي مرتبة النزول الكاشف عن سلامة القرآن من الإختلال والإختلاف والتغيير

---

(١) من لا يحضره الفقيه:ج١، ص٣١٠ . عيون أخبار الرضا : ج٢، ص١١٤.

(٢) آلاء الرحمن في تفسير القرآن : ج١ ، ص٥٦.

(٣) الإسراء : ١٠٥ .

والتزوير في جميع مراحله، نزولاً من لدن اللوح المحفوظ ووصولاً إلى صدر النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله).

الإشارة الثالثة : الوجه في إتيان ضمير الجمع في ((نعبد)) و ((نستعين)) في الآية.

من المفترض أن التلاوة في الصلاة أو في غيرها تصدر من الإنسان المفرد، فهو الذي يتوجه بالخطاب عادة إلى الله تعالى وهو الذي يقرّ بالعبودية له ويقرّ بالإستعانة به عز وجل. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا جاء لفظ العبادة ولفظ الإستعانة في الآية الشريفة بصيغة الجمع لا المفرد ؟

لقد تنوعت أجوبة البعض من المفسرين – حيث أن أغلبهم لم يتعرضوا لهذه النكات الجميلة اختصاراً منهم للبحث – في بيان هذه النكتة في ذلك حيث ذكر البعض منهم أن ذلك من أجل إخراج الإنسان من إطار الأنا وحب الذات وجعله إنساناً إجتماعياً فعالاً في مجتمعه. كما أشار إلى ذلك العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي بقوله : (وقد إستعمل سبحانه هنا صيغة الجمع لا المفرد، فقال : ((نَعْبُدُ))، ((نَسْتَعِينُ))، ((إهْدِنَا)). و لم يقل : أعبد ، أستعين ، إهدني . ولعله من أجل أنه سبحانه يريد لهذا الإنسان أن يعيش خصوصيته الفردية في نطاق حياته الاجتماعية، ولا يريده أن ينعزل ، وينطوي على نفسه ويتقوقع داخل قفص حديدي قضبانه هي الخصوصيات الفردية المحددة ، والمؤذية أحياناً . وهذا أسلوب تربوي رفيع يهدف إلى تحويل الحركة الفردية، والفعل الشخصي إلى إنجاز جماعي له قيمته الإنسانية الفضلى.

مع الإشارة إلى أن التشذيب والتهذيب ، وإيجاد حالة التوازن في الخصوصيات والطموحات الفردية إنما يكون في ساحة الصراع والتحدي ،

حيث لا بد أن تعبر تلك الحالات الفردية للأنا عن نفسها ، وعن وجودها ، حيث لا مبرر لهذا البروز في حالة الإنطواء والبعد عن ساحة الصراع هذه .

ولأجل ذلك ، فإنه تعالى حتى حين يشرع العبادات حتى الصلاة ، فإنه قد جعل طابعها العام جماعياً وإجتماعياً بصورة ملموسة وظاهرة ، فالصلاة التي هي صلة للعبد به تعالى قد انطوت في تشريعاتها وخصوصياتها وحالاتها على ما يجعل إحساس العبد بصلته بالله سبحانه يتبلور في نطاق الحياة الإجتماعية ومن خلالها . ففي الأذان دعوة إلى التجمع من أجل الصلاة جماعة ، وهي في المسجد أكثر ثواباً ، ويزيد هذا الثواب بعدد أفراد الجماعة المشاركين . ثم تتلو نصوص الصلاة التي تصهر روحك في بوتقة المجتمع الكبير فتقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ .. ﴾ ، ثم تكون آخر كلماتك هي : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .فتخرج من الصلاة لتدخل من باب الصلاة نفسها – بعد أن تكون حصلت على السلام النفسي والروحي – إلى قلب هذا المجتمع الكبير، لتعيش بهذا السلام، بعد أن تكون هذه الصلاة قد أسهمت في تصفية روحك، وتزكية نفسك، وأهّلتك لأن تكون العضو الصالح والقوي والفاعل في مجتمعك ، ولا تزال تنهاك عن الفحشاء والمنكر ، وهي عمود الدين ، وهي النهر الذي تغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، لتكون مثال الطهر والصفاء والنقاء .

فالعبادة الفردية إذن تقوم – بالإضافة إلى سائر منجزاتها الكبرى – بتأهل الفرد واستصلاحه ليكون العضو الفاعل والعامل...)[1].

---

(١) تفسير سورة الحمد: ص١٢٤.

وأجاب ابن عاشور بجواب آخر كما في تفسيره حيث قال : وضميرا ((نعبد ونَستعين)) يعودَان إلى تالي السورة – أي آخرها – ذاكراً معه جماعة المؤمنين . وفي العدول عن ضمير الواحد إلى الإتيان بضمير المتكلم المشارَك الدلالة على أن هذه المحامد صادرة من جماعات ، ففيه إغاظة للمشركين إذ يعلمون أن المسلمين صاروا في عِزة ومَنَعة ، ولأنه أبلغ في الثناء من أعبد وأستعين لئلا تخلو المناجاة عن ثناء أيضاً، بأن المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله ، وقريب من هذا قول النابغة في رثاء النعمان بن الحارث الغساني :

قعوداً له غسان يرجون أوْبَة ... وتُركٌ ورهطُ الأعجمين وكابُل

إذ قصد من تعداد أصناف من الأمم الكناية عن عظمة النعمان وكثرة رعيته . فكَأَنَّ الحامد لما انتقل من الحمد إلى المناجاة لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء إلا إنتهزها [1].

وهناك من ذكر أن ذلك من أجل التشرف بضم عبادته – أي العبد – إلى عبادة غيره من الصالحين، واستعطافاً بذكرهم مع نفسه واحترازاً من الدعوى الكاذبة بطريق تغليب عبادات المخلصين على عبادته في دعوى الإخلاص، فيكون صادقاً بتلك الدعوى لأجل صدقهم.

ومنها أيضاً ما ذكر من كون ذلك إشارة إلى إستحباب صلاة الجماعة حتى يكون النداء التوحيدي واحداً، كما كان النداء الشركي من المشركين واحداً، وحتى نقول لهم بلسان جماعي : ((إياك نعبدُ وإياك نستعين)) .

---

(١) التحرير والتنوير: ج١ ،ص ٤١.

أقول: الأصح أن نقول: إن المنادي والمخاطب الذي يتلفظ بهذه الألفاظ إنما يستحضر في نفسه وعقله كل الموجودات ويراها جميعا عبيداً لله مستعينة به لا يوجد منها ما ليس كذلك، فهي جميعاً خاضعة لحكومة الله طائعة له رغم أنفها كما قال عز وجل: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[1]، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[2].

فهذا العبد يريد أن يؤكد بأن لا معبود سوى الله تعالى ولا مستعان غيره عز وجل من جميع المخلوقات؛ ولذا إستعمل صيغة الجمع لكي يقول : أنا وكل الموجودات نعبد الله ونستعين به.

الإشارة الرابعة : الوجه في العدول في الأسلوب من الغيبة إلى الخطاب في الآية.

لا شك أن البلاغة اللغوية وجمال العبارات في الكلام تستدعي الإنتقال من أسلوب إلى آخر حتى لا يحدث الملل عند السامع وهذا دليل على جمالية الكلام ورونقه.

نجد انه تعالى في سورة الفاتحة قد أنتقل الكلام من أسلوب الغيبة – أي كأنه يخاطب الغائب – وذلك بقوله : ((الحمد لله ربّ العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدّين...)) ثم فجأة إنتقل من ذلك إلى أسلوب وصيغة أخرى وهو الخطاب فكأن من يتكلم معه حاضر أمامه يخاطبه ويوجه إليه فيقول له : ((إياك نعبد وإياك نستعين * إهدنا الصراط المستقيم...)).

---

(١) مريم: ٩٣.

(٢) الرعد: ١٥ .

وهنا يأتي السؤال : لماذا هذا التحول في الأسلوب فهل أن ذلك من أجل إبراز الجانب البلاغي وجمال الألفاظ باعتباره فنّاً من فنون الكلام الذي اشتهر عند العرب؟ أم أن هناك أمراً آخر وراء ذلك لابد من الإلتفات إليه ؟

لابد أن نقول ونؤكد أن إثبات شيء لا ينفي ما عداه، فإذا أثبتنا أن هناك نكتة أخرى لهذا التحول في الأسلوب القرآني لا يعني أننا نريد نفي الفن اللغوي وأسلوب البلاغة الذي تميز القرآن الكريم.

نقول: إن ذلك لعله – والله العالم – لسبب آخر وهو : لّما كان المملوك في الملك الحقيقي متقوم الوجود بمالكه فلابد والحال ذاك أن لا يكون محجوباً عن مالكه ولا أن المالك محتجب عن ملكه . فالله تعالى كل شيء حاضر عنده، قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[1]. وكذلك فإنه تعالى حاضر في كل شيء كما قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ *** أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾[2]. فلابد والحال ذاك أن يحقق العبد هذا الحضور في العبادة والإستعانة كما في الحديث الشريف عن إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : ((يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك))[3]. لأن الله شاهد في كل شيء، ومشهود لكل شيء، هو الظاهر في نفسه، المُظِهر لغيره.

---

(١) سبأ : ٢.

(٢) فصلت : ٥٣-٥٤.

(٣) الكافي: ج٢،ص٦٨.

كما في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة :((كيف يستدل عليك، بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور، ما ليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً))[1].

وأما جهة الرب فإن العبد بين يديه لا يغيب عنه ولو للحظة واحدة، كما قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ *** الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ** وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[2].

فالمصلي الحاضر-أو القارئ- الذي هو حاضر بين يدي ربّه غير غافل ولا معرض ولا يقول ما لا يعلم، هو من يحقق العبودية الحقيقية، ويكون عبداً لمولاه، وهو أعظم تاج يلبسه الإنسان.

---

(١) بحار الأنوار:ج٦٤،ص١٤٢.

(٢) الشعراء:٢١٧-٢١٩ .

المبحث السادس

تفسير قوله تعالى: ((إهدنا الصراط المستقيم))

البحث في الآية الشريفة يكون من جهات متعددة:

الجهة الأولى: المعاني اللغوية لمفردات الآية :

١- إهـــــدنا

الهداية من الهُدى وهي الرشادُ والدلالةُ، يُقال: هَداهُ الله للـــدين هُـــدًى. وهَدَيْتُهُ الطريقَ والبيتَ هِدايَةً، أي عرَّفتُه، هذه لغة أهل الحجاز، وغيرُهم يقول: هَدَيْتُهُ إلى الطريق وإلى الدار[1].

وقيل إن الهداية هي دلالة بلطف، كما فسرها الراغـــب الإصـــفهاني في مفرداته[2]. إلا أن قيد اللطف المأخوذ في التعريف ليس عليه شاهد من اللغـــة بشكل واضح من ناحية الوضع، وإن كـــان كـــذلك مـــن ناحيـــة بعـــض الاستعمالات.

وتستعمل كذلك في الخير والشر على حدٍّ سواء كما نقـــول: هـــداهُ إلى الخـــير، أو نقول: هداهُ إلى الشر. وقد جاء إستخدامها في الخـــير والشـــر في

---

(١) الصحاح : ج٦، ص ٢٥٣٣ ،مادة (هدى) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن : ص ٨٣٥، مادة : (هدى).

القرآن الكريم أيضاً، كما ففي الخير قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١]، وفي الشر قوله تعالى : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾[٢].

وقد تستعمل في الأعم منهما إذا كان المورد صالحاً لذلك كقوله تعالى : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٣].

٢- الصراط

يقال : صِراط وسِراط كلاهما صحيح – وإن كانت السين هي الأصل- وهو الطريق والسبيل الواضح[٤]. ولا شك في صدقه على الطريق مادياً ومعنوياً.

٣- المستقيم

الإستقامة لغة هي : الإعتدال، يقال : إستقام له الأمر، وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنما إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٥]، أي في التوجه إليه دون الآلهة[٦].

وهناك إستعمالات كثيرة لمفردة الإستقامة أشار إليها الراغب الاصفهاني في كتابه المفردات حيث ذكر : والإستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خط مستو، وبه شُبِّه طريقُ المُحِق. قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) الصافات : ٢٣.

(٣) البلد : ١٠ .

(٤) لسان العرب : ج٧،ص٣١٣.

(٥) فصّلت :٦.

(٦) الصحاح: ج٥ ، ص٢٠١٧.

تَتَّقُونَ ﴾[١]، وكذا قوله : ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

وإستقامة الإنسان : لزومه المنهج المستقيم، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنما إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٣]، وكذا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٤]، وقوله ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٥].

والإقامة في المكان: الثبات. وإقامة الشيء : توفية حقه، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٦]، أي توفون حقهما بالعلم والعمل . وكذا قوله : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ

---

(١) الأنعام : ١٥٣ .

(٢) هود : ٥٦.

(٣) فُصّلت :٦.

(٤) فُصّلت: ٣٠.

(٥) هود :١١٢.

(٦) المائدة : ٦٦.

رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[١]،[٢].

الجهة الثانية: أنواع الهداية الإلهية:

المتتبع للآيات الكريمة يجد القرآن الكريم قد إستعمل مصطلح الهداية وأراد منه عدة أمور، تشترك بنفس المعنى إلا أنها تختلف من جهات أخرى فمثلا:

هناك هداية خاصة، وهداية تكوينية، وهداية تشريعية، وهداية فطرية، وهداية غريزية. ثم إن الهداية التكوينية تنقسم إلى عامة وخاصة. والهداية الخاصة تنقسم إلى هداية بالذات وهداية بالغير، فكل هذه المعاني موجودة في القرآن الكريم.

ومن هنا لا بأس أن نقف بشكل إجمالي على بيان هذه الأنواع من الهدايات كي لا تتداخل في معانيها عند البعض من القرّاء الكرام.

أولا: الهداية التكوينية العامة:

الهداية التكوينية هى التي تتعلق بالأمور التكوينية، كهدايته كل نوع من أنواع المصنوعات إلى كماله الذي خلق لأجله، وإلى أفعاله التي كتبت له، وهدايته كل شخص من أشخاص الخليقة إلى الأمر المقدر له والأجل المضروب لوجوده، قال تعالى : ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٣]، وقال : ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *** وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٤]،[٥].

---

(١) المائدة : ٦٨.

(٢) أنظر: المفردات في غريب القرآن: ص٤١٨.

(٣) طه:٥٠.

(٤) الأعلى: ٢-٣.

(٥) الميزان في تفسير القرآن: ج٧، ص٣٤٦.

ثانياً: الهداية التكوينية الخاصة:

وأما الهداية التكوينية الخاصة فهي هداية تكوينية، وعناية ربّانية، خصّ الله بها عباده حسب ما تقتضيه حكته، فيهييء لهم ما به يهتدون إلى كماله ويصلون به إلى مقصودهم ، ولولا تسديده تعالى لوقعوا في الغي والضلالة. هذا وقد أشير إلى هذا القسم من الهداية في غير واحد من الآيات المباركة ، قال تعالى : ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[١]، وكذا قوله : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢]، وقوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٤]، وقوله : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥]، وقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٦]. إلى غير ذلك من الآيات التي يستفاد منها إختصاص هداية الله تعالى وعنايته الخاصة بطائفة خاصة دون بقية الناس، فالمسلم بعد ما إعترف بأن الله قد منّ عليه

---

(١) الأعراف : ٣٠ .

(٢) الانعام : ١٤٩.

(٣) البقرة: ٢٧٢ .

(٤) القصص : ٥٦ .

(٥) العنكبوت : ٦٩ .

(٦) ابراهيم : ٤.

بهدايته هداية عامّة تكوينية وتشريعية طلب من الله تعالى أن يهديه بهدايته الخاصة التكوينية التي يختص بها من يشاء من عباده.

ولا نريد فعلاً أن نخوض فيها جميعاً ؛ لأن الوقت لا يسعفنا كما أننا نخشى الخروج عن المقصود من التركيز على تفسير سورة الفاتحة، ولهذا أجملنا الكلام فيها بما يناسب المقام.

ثالثاً: الهداية التشريعية :

الهداية التشريعية هي التي تتعلق بالأمور التشريعية، من الإعتقادات الحقّة والأعمال الصالحة التي وضعها الله سبحانه للأمر والنهى والبعث والزجر ووعد على الأخذ بها ثواباً وأوعد على تركها عقاباً[١].

وبكلمة أخرى: فهي الهداية التي بها هدى الله جميع البشر بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم، فقد أتم الحجة على الإنسان بإفاضته عليه العقل وتمييز الحق من الباطل ، ثم بإرساله رسلاً يتلون عليهم آياته ، ويبينون لهم شرائع أحكامه ، وقرن رسالتهم بما يدل على صدقها من معجز باهر ، وبرهان قاهر ، فمن الناس من اهتدى ، ومنهم من حقّ عليه الضلالة : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[٢]،[٣].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج٧، ص٣٤٦.

(٢) الإنسان: ٣.

(٣) البيان في تفسير القرآن: ص: ٤٩٤ .

وقد قسّم العلماء هذه الهداية إلى قسمين:

ألف: الهداية التشريعية الإرائية : يقصد بها الهداية التي تكون للأنبياء والمرسلين والأئمة والعلماء والصالحين[١]، من الدعوة إلى الله تعالى ودينه وسبيله، والتحذير من عقوبته والجحود أو الشرك به وفعل المنكرات وتجاوز الحدود وغير ذلك. وإنما سميت بـ ((الإرائية)) لأن الهادي يقوم فيها بإراءة طريق الضلال والهلاك ويري الناس المنافع والمفاسد، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٢]، وكذا قوله : ﴿فَذَكِّرْ إنما أَنْتَ مُذَكِّرٌ ** لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[٣]، وكذا قوله : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٤].

باء : الهداية التشريعية الإيصالية: وهي عناية خاصة وهداية مخصوصة لبعض عباده، من خلال الأخذ بيدهم إلى طريق الحق والنجاة لا مجرد إراءة ذلك الطريق وإنما إيصالهم إلى المطلوب. والمطلوب مختلف بإختلاف الدرجات والمقامات، وإلى ذلك أشار قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَام وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَإِنما يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥]، وكذا قوله :

---

(١) مع الأخذ بعين الإعتبار إن لهداية الارائية في حق المعصومين تختلف عما هي عليه عند غيرهم من حيث أن المعصوم يعتمد على ما لديه من علم لدنّي يستقي منه علومه في التبليغ والارشاد والتشريع فالنبي مثلاً من خلال الوحي الخاص وأما الإمام فمن خلال الوحي بمعناه الأعم باعتبار أن الإمامة سفارة إلهية كما ورد في الزيارات عن أهل البيت (عليهم السلام). نظر: الإمامة الإلهية، الشيخ محمد السند، ص٤٠٤.

(٢) البقرة : ١١٩.

(٣) الغاشية : ٢١-٢٢.

(٤) ق : ٤٥.

(٥) الانعام : ١٢٥.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1]. إلى غير ذلك من الآيات الشريفة.

وهناك شواهد كثيرة على هذه الهداية في تراثنا الإسلامي منها ما رواه الشيخ الكليني (قدس سره) في كتابه الكافي : عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له : كيف أنت يا حارثة بن مالك ؟ فقال : يا رسول الله مؤمن حقاً ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك ؟ فقال : يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري، وكأني أنظر إلى عرش ربي ((و)) قد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع عواء أهل النار في النار . فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : عبد نور الله قلبه ، أبصرت فأثبت ، فقال : يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك . فقال : اللهم ارزق حارثة الشهادة . فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) سرية فبعثه فيها ، فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ثم قتل .

وفي رواية القاسم بن بريد ، عن أبي بصير قال : إستشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[2].

---

(١) الزمر : ٢٣.

(٢) الكافي : ج٢ ، ص٥٤، ح ٣.

الجهة الثالثة: تحديد نوع الهداية في الآية:

من الضروري تحديد نوع الهداية المعنية في الآية الشريفة أعني قوله تعالى : ((إهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)) لما في ذلك من أهمية علمية ومعنوية في نفس الداعي والراجي من الله تعالى أن يوفقه ويستجيب له دعاءه فيما يقصده ويرجوه منه عز وجل.

وفي مقام تحديد نوع هذه الهداية نقول: والذي نراه – والله العالم – إن المقصود من الهداية المطلوبة ليست هي الهداية التشريعية بمعناها العام ، لأنها حاصلة بالفعل. ولا الهداية التي هي بمعنى الهداية التشريعية الإرائية – كما سيتضح بعد قليل، بل المقصود منها هو الهداية التشريعية الإيصالية، والتي ذكرنا أن المراد بها الأخذ بيد الإنسان نحو هدفه المنشود، أي نحو الصراط المستقيم، وطريق الحق الموصل إلى الله تعالى .

بيان وتوضيح : إنه لما كانت الهداية الإرائية غاية ما تفيد هو بيان الشريعة وتبليغها إلى الإنسان ، ومن المعلوم إن مجرد بيان الشريعة وتبليغها لا يوصل إلى الهدف، فلابد حينئذ من وجود إنسان كامل يكون عمله هو مراقبة تطبيق الإحكام على أرض الواقع، والسير بالقافلة البشرية نحو الهدف المنشود، أما بأساليب محسوسة ظاهرة أو بأساليب غيبية لا يطلع عليها أحد ، وهذا ما يشير إليه حديث الثقلين بشكل واضح.

فقد روي عن مولانا الحسن بن علي المجتبى (عليهما السلام) أنه قال: خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه : معاشر الناس كأني أدعى وأجيب، وأني تارك فيكم الثقلين كتاب الله

وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، لا تخلو الأرض منهم ، ولو خلت إذا لساخت بأهلها[١].

وعلى حدّ تعبير العلامة الطباطبائي (قدس سره) حيث قال: وبالجملة فالإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه ، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم ، وهدايتها إيصالها إياهم إلى المطلوب بأمر الله، دون مجرد إرائة الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢]، وقال تعالى : في مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٣]، وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٤].

الجهة الرابعة : معنى الصراط في الآية

لقد تناول السيد العلاّمة الطباطبائي في تفسيره الميزان هذا الموضوع بشيء من البيان الجميل واقفاً على بعض النكات اللطيفة، مما حدى بنا أن نسايره في الرأي والقول لظرافتها؛ ولهذا لم نعلق على شيء منها لموافقتها التحليل العلمي، وقد رتبناها ضمن نقاط خمس بغية التركيز:

---

(١) مكيال المكارم : ج٢ ، ص١٨١.

(٢) ابراهيم : ٤.

(٣) غافر: ٣٨.

(٤) التوبة : ١٢٢.

أولاً: تحديد معنى الصراط : قال (قدس سره) في معنى الصراط: أما الصراط فهو والطريق والسبيل قريب المعنى ، وقد وصف تعالى الصراط بالإستقامة ثم بين انه الصراط الذي يسلكه الذين أنعم الله تعالى عليهم ، فالصراط الذي من شأنه ذلك هو الذي سئل الهداية إليه وهو بمعنى الغاية للعبادة أي : إن العبد يسأل ربه أن تقع عبادته الخالصة في هذا الصراط .

بيان ذلك : إن الله سبحانه قرر في كلامه لنوع الإنسان بل لجميع من سواه سبيلاً يسلكون به إليه سبحانه فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٢]، وقال: ﴿ أَلَا إلى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[٣]، إلى غير ذلك من الآيات وهي واضحة الدلالة على أن الجميع سالكو سبيل ، وأنهم سائرون إلى الله سبحانه[٤].

ثانيا: أنواع السبل التي يسلكها الإنسان : ثم بين : إن السبيل ليس سبيلاً واحداً ذا نعت واحد، بل هو منشعب إلى شعبتين منقسم إلى طريقين، فقال: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ*** وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٥].

---

(١) الانشقاق : ٦.

(٢) التغابن : ٣ .

(٣) الشورى :٥٣.

(٤) الميزان في تتفسير القرآن: ج١، ص٢٨.

(٥) يس : ٦٠-٦١.

فهناك طريق مستقيم وطريق آخر ورائه ، وقال تعالى: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١]

وقال تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٢]، فبيّن تعالى : إنه قريب من عباده، وإن الطريق الأقرب إليه تعالى طريق عبادته ودعائه ، ثم قال تعالى في وصف الذين لا يؤمنون : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٣]. فبين : إن غاية الذين لا يؤمنون في مسيرهم وسبيلهم بعيدة .

فتبين : إن السبيل إلى الله سبيلان : سبيل قريب وهو سبيل المؤمنين، وسبيل بعيد وهو سبيل غيرهم، فهذا نحو إختلاف في السبيل[٤].

ثالثا: إختلاف آخر بين السبيلين : وهناك نحو آخر من الإختلاف، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[٥]، ولولا طروق من متطرق لم يكن للباب معنى، فهناك طريق من السفل إلى العلو، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾[٦]. والهوي هو السقوط إلى أسفل ، فهناك طريق آخر آخذ في السفالة والإنحدار،

---

(١) البقرة : ١٨٦.

(٢) غافر : ٦٠ .

(٣) فصّلت : ٤٤ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ج١،ص٢٩.

(٥) الأعراف: ٤٠.

(٦) طه : ٨١.

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١]، فعرف الضلال عن سواء السبيل بالشرك لمكان قوله : فقد ضل، وعند ذلك تقسم الناس في طرقهم ثلاثة أقسام :

١- مَنْ طريقه إلى فوق، وهم الذين يؤمنون بآيات الله ولا يستكبرون عن عبادته.

٢- ومَنْ طريقه إلى أسفل، وهم المغضوب عليهم.

٣- ومن ضل الطريق وهو حيران فيه، وهم الضالون .

وربما أشعر بهذا التقسيم قوله تعالى : ((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) .والصراط المستقيم لا محالة ليس هو الطريقين الآخرين من الطرق الثلاث أعني :

طريق المغضوب عليهم، وطريق الضالين، فهو من الطريق الأول الذي هو طريق المؤمنين غير المستكبرين إلا أن قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٢]. يدل على أن نفس الطريق الأول أيضاً يقع فيه أنقسام[٣] .

رابعاً: هل يمكن إجتماع الشرك والظلم مع الصراط المستقيم ؟ : قال السيد الطباطبائي (قدس سره): إن الصراط المستقيم – الذي هو صراط غير الضالين – صراط لا يقع فيه شرك ولا ظلم البتة كما لا يقع فيه ضلال البتة ، لا في باطن الجنان من كفر أو خطور لا يرضى به الله سبحانه ، ولا في ظاهر

---

(١) البقرة : ١٠٨ .

(٢) المجادلة : ١١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٣٠.

الجوارح والأركان من فعل معصية أو قصور في طاعة ، وهذا هو حق التوحيد علماً وعملاً، إذ لا ثالث لهما، وما ذا بعد الحق إلا الضلال؟ وينطبق على ذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[١]، وفيه تثبيت للأمن في الطريق، ووعد بالإهتداء التام بناءاً على ما ذكروه من كون إسم الفاعل حقيقة في الإستقبال. فليفهم فهذا نعت من نعوت الصراط المستقيم[٢].

خامساً : من هم أصحاب الصراط المستقيم ؟ : ثم إنه تعالى عرّف هؤلاء المنعم عليهم الذين نسب صراط المستقيم إليهم بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٣]، وقد وصف هذا الإيمان والإطاعة قبل هذه الآية بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ** وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أو اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[٤]. فوصفهم بالثبات التام قولاً وفعلاً وظاهراً وباطناً على العبودية، لا يشذ منهم شاذ من هذه الجهة ومع ذلك جعل هؤلاء المؤمنين تبعاً لأولئك المنعم عليهم

---

(١) الانعام : ٨٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن:ج١،ص٣٠ .

(٣) النساء: ٦٩ .

(٤) النساء : ٦٥-٦٦.

وفي صف دون صفهم لمكان ((مع)) ولمكان قوله : ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ولم يقل : فأولئك من الذين .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[١]. وهذا هو إلحاق المؤمنين بالشهداء والصديقين في الآخرة، لمكان قوله : ((عند ربهم))، وقوله: ((لهم أجرهم)) .

فاؤلئك –وهم أصحاب الصراط المستقيم – أعلى قدراً وأرفع درجة ومنزلة من هؤلاء وهم المؤمنون الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم من الضلال والشرك والظلم، فالتدبر في هذه الآيات يوجب القطع بأن هؤلاء المؤمنين و (شأنهم هذا الشأن) فيهم بقية بعد لو تمت فيهم كانوا من الذين أنعم الله عليهم ، وارتقوا من منزلة المصاحبة معهم إلى درجة الدخول فيهم، ولعلهم نوع من العلم بالله ، ذكره في قوله تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٢].

فالصراط المستقيم أصحابه منعم عليهم بنعمة هي أرفع النعم قدراً، يربو على نعمة الإيمان التام، وهذا أيضاً نعت من نعوت الصراط المستقيم[٣].

---

(١) الحديد: ١٩.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج٢،ص٣٠-٣١ .

المبحث السابع

تفسير قوله تعالى: ((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين))

هذه الآية الشريفة مرتبطة بما سبق أي بقوله عز وجل : ((إهدنا الصراط المستقيم)).ووجه ارتباطها مما يلي:

بعد أن كانت الهداية هي ثمرة العبادة والغرض الأقصى من الإستعانة، أو أعلى المقامات الإنسانية، وهي الأمانة التي عُرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.

وبعد أن كان الصراط المستقيم هو الطريق المؤدي إلى المطلوب وهو الغاية من خلق الإنسان في هذا العالم، وهو الوصول إلى الكمال والسعادة من خلال الإرتباط بمصدر الكمال والسعادة وهو الله تعالى.

هنا يأتي سؤال مقدّر وهو: أي صراط وطريق هذا الذي عنته الآية الشريفة ؟ وبكلمة أخرى : ما هي معالم هذا الطريق الذي إذا سلكه الإنسان سوف يصل إلى تلك الغاية ؟

فيجيب الله تعالى عن هذا السؤال: بأن الصراط والطريق هو صراط وطريق الذين أنعمنا عليهم، وليس صراط وطريق الذين غضب الله عليهم، أو طريق الضالين والبعيدين عن هداية الله تعالى ودينه.

ومن هنا حق لنا أن نسأل عن هولاء الذين أنعم الله عليهم من هم ؟ وكذلك عن الذين غضب الله عليهم وعن الضالين من هم ؟ وما هي معالم كل منهما، وكيف أصبح أحدهم مغضوباً عليه والآخر ضالاً، أي ما هي موجبات هاتين الحالتين وأسباب إتصافهما بهاتين الصفتين (المغضوب عليهم، والضالين) ؟ كل هذه الأمور مورد إستفسار وتساؤل لدى العقلاء، ومن يقرأ أو يسمع قوله تعالى ((غير المغضوب عليهم ولا الضالين)).

إذن : القرآن الكريم يريد أن يبين أن هناك ثلاثة طرق وسبل، سبيل يوصل إلى الغاية من خلق الله الوجود وتوصل الإنسان إلى كماله وسعادته، وسبيلان آخران ليسا كذلك، حيث يوصلان إلى نتيجة معكوسة مغايرة وإنتكاسة حقيقية، وتراجع وإبتعاد عن غاية الخلقة وهدفية الوجود، حيث يوجبان غضب الله تعالى وضلالة الإنسان وتيهه في هذا الكون.

وعلى ضوء ما تقدم ينبغي الإلتفات إلى مجموعة من الأمور ضمن هذه الآية الشريفة:

الأمر الأول: ما هي النعم التي خصها الله تعالى لأصحاب الصراط المستقيم؟

١- النعمة لغة:

النعيم والنعمى والنعماء والنعمة كله : الخفض والدِّعة والمال والمسرّة واليد الصالحة[1]. وهو ضد البأساء والبؤسى. وكذا فإن النعمة هي طيب العيش والرفاهية وكثر الخيرات وحسن الحال.

---

(١) أنظر : كتاب العين، للفراهيدي ، ج٢ ، ص ١٦٢. كتاب: القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ،ج ٤، ص ١٨١.

وهذه العيشة الطيبة والحال الحسنة تارة تتعلق بالأمور الدنيوية وأخرى تتعلق بالأمور المعنوية، وتارة تتعلق بالأمور الدنيوية وأخرى بالأمور الأخروية. ولذا يشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[1].

فالنعمة هي كل خير يؤدي بالإنسان إلى السعادة والراحة والسرور سواء كان ظاهرياً أو باطنياً، وسواء كان مادياً أو معنوياً.

٢- النعمة المقصودة في الآية الشريفة

من خلال التدبر في الآية الشريفة يتبين أن المقصود من النعمة فيها هي الهداية إلى طاعة الله تعالى والإيمان به، وهو يتحقق من خلال أمرين أساسيين هما:

أ - الإيمان الصادق الصحيح، من خلال الاعتقاد بالتوحيد والمعاد والنبوة، وكل ما له مدخلية في تحقيق رؤية كونية واقعية مطابقة للواقع، بعيدة عن الكفر والجحود وعبادة غير الله تعالى.

ب – السلوك والعمل المطابق لشرع الله تعالى ومنهجه الذي خطه ورسمه، لإيصال الإنسان من المبدأ إلى المنتهى، من خلال السير والسلوك نحو الله تعالى بالعبادة والعمل الصالح وبناء مجتمع مؤمن وصالح تسوده شريعة الحق تعالى.

وهذا ما أشار إليه مولانا الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) موضحاً نوع النعمة التي أنعم الله تعالى بها على أصحاب الصراط المستقيم حيث قال : ((ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن، وإن كان كل

---

(١) لقمان : ٣١.

هذا نعمة من الله ظاهرة، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فسّاقاً، فما نُدبتم إلى أن تُدعوا بأن تُرشَدوا إلى صراطهم، وإنما أُمرتم بالدعاء لان تُرشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله، وتصديق رسول الله، وبالولاية لمحمد وآله الطيبين، وأصحابه الخيرين المنتجين، وبالتقية الحسنة التي يسلم بها من شر عباد الله، ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم، بأن تداريهم ولا تغريهم بأذاك وأذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين .

فإنه ما من عبد ولا أمة والى محمداً وآل محمد وأصحاب محمد ، وعادى من عاداهم إلا كان قد اتخذ من عذاب الله حصناً منيعاً، وجنة حصينة . وما من عبد ولا أمة دارى عباد الله بأحسن المدارة ، فلم يدخل بها في باطل ولم يخرج بها من حق إلا جعل الله نفسه تسبيحاً وزكى عمله...))[1].

إذن: النعمة المقصودة في الآية هي نعمة الإعتقاد الصحيح والإيمان بالله تعالى وأنبيائه وكتبه ورسله واليوم الآخر. وكذلك السلوك والعمل المنسجم مع ذلك الإيمان، المتمثل بكلمة واحدة وهي تقوى الله تعالى وطاعته.

الأمر الثاني: من هم أصحاب النعم والصراط المستقيم في ضوء الآية الشريفة ؟

إذا راجعنا القرآن الكريم وجدناه يحدد لنا بعض معالم ومصاديق الذين أنعم الله عليهم بهدايته وجعلهم من أصحاب صراطه المستقيم، الذين أصبحوا قدوة يقتدى بهم وأسوة لغيرهم من المؤمنين.

---

(١) بحار الانوار: ج ٦٥ ، ص ٧٨ .

١- قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1]، فهذه الآية تقسّم الذين انعم الله عليهم إلى أربع مجاميع : الأنبياء ، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين .

يقول صاحب تفسير الأمثل معلّقاً بقوله: لعل ذكر هذه المجاميع الأربع، إشارة إلى المراحل الأربع لبناء المجتمع الإنساني السالم المتطوّر المؤمن.

المرحلة الأُولى: مرحلة نهوض الأنبياء بدعوتهم الإلهية.

المرحلة الثانية: مرحلة نشاط الصديقين، الذين تنسجم أقوالهم مع أفعالهم، لنشر الدعوة.

المرحلة الثالثة: مرحلة الكفاح بوجه العناصر المضادة الخبيثة في المجتمع. وفي هذه المرحلة يقدم الشهداء دمهم لإرواء شجرة التوحيد.

المرحلة الرابعة: هي مرحلة ظهور «الصالحين» في مجتمع طاهر ينعم بالقيم والمثل الإنسانية باعتباره نتيجة للمساعي والجهود المبذولة.

نحن ــ إذن ــ في سورة الحمد نطلب من الله ــ صباحاً مساءاً ــ أن يجعلنا في خط هذه المجاميع الإربع: خط الأنبياء، وخط الصديقين، وخط الشهداء، وخط الصالحين. ومن الواضح أنّ علينا أن ننهض في كل مرحلة زمنيّة بمسؤوليتنا ونؤدي رسالتنا[2].

---

(١) النساء :٦٩.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١ ، ص ٤٣-٤٤.

٢- قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[١].

فهذه الآية الشريفة تبيّن أن الأنبياء من مصاديق الذين أنعم الله عليهم، وكذلك الذين هداهم الله عزّ وجل واجتباهم من هولاء أيضاً.

٣- وأما الروايات الواردة في هذا الشأن فقد بينت إن الصراط المستقيم وطريق الذين أنعم الله عليهم متجسّد بمحمد وآله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

منها: ما روي عن مولانا الصادق (عليه السلام) حيث قال: ((قول الله عز وجل في الحمد : " صراط الذين أنعمت عليهم " يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم))[٢].

ومنها: ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قول الله عز وجل : " صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " قال : ((شيعة علي (عليه السلام) الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يغضب عليهم ولم يضلوا))[٣].

---

(١) مريم :٥٨.

(٢) معاني الأخبار : ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق .

ومنها: ما عن مولانا الإمام الباقر (عليه السلام) : ((دين الله الذي نزل به جبرئيل على محمد صراط الذين أنعمت عليهم، فهديتهم بالإسلام وبولاية علي بن أبيطالب (عليه السلام) و لم تغضب عليهم و لم يضلوا...))[1].

إذن: من خلال هذه النصوص – آيات وروايات – نصل إلى قاعدة كلية هي : إن المنعَم عليهم من الله تعالى هم فئة خاصة مجتباة ومطهرة وسائرة في طريق الحق، وهولاء هم أصحاب الصراط المستقيم.

وأما نفس النعمة فهي الهداية إلى العقيدة الصحيحة والطاعة والإلتزام بالأوامر الإلهية من خلال الإلتزام بظاهر الآية الشريفة وتطبيق غاياتها السامية.

الأمر الثالث : من هم المغضوب عليهم ؟

الغضب ضد الرضا وهو معروف، وهو في الإنسان: خروج للنفس عن الإعتدال وحركتها نحو الحدة والشدة.

وأما الغضب من الله تعالى فهو أيضاً شدة وقوة ولكن ليس بالمعنى الذي عند الإنسان أو غيره من المخلوقات، لأن ذلك يتنافى مع صفاته العليا فيتنزّه عن ذلك. وإنما هو يرتبط بلازم المعنى لا نفس المعنى، أي العقوبة الدنيوية والأخروية أو كليهما بشكل شديد وقاسي .

وفسّر الفخر الرازي الغضب بقوله: الغضب : تغيرٌ يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الإنتقام، واعلم أن هذا على الله تعالى محال ، لكن ههنا قاعدة كلية ، وهي أن جميع الأعراض النفسانية – أعني الرحمة ، والفرح ، والسرور ، والغضب ، والحياء ، والغيرة ، والمكر والخداع ، والتكبر ، والإستهزاء – لها أوائل ، ولها غايات ، ومثاله الغضب فإن أوله غليان دم

---

(١) مناقب آل ابي طالب: ج٢ ، ص٢٧١.

القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ، فلفظ الغضب في حق الله تعالى لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب ، بل على غايته الذي هو إرادة الأضرار ، وأيضاً ، الحياء له أول وهو إنكسار يحصل في النفس ، وله غرض وهو ترك الفعل ، فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على إنكسار النفس ، وهذه قاعدة شريفة في هذا الباب[١].

ومن هنا نلاحظ القرآن الكريم يطلق مفهوم الغضب- أي غضب الله – إستناداً لما يلائم الذات الإلهية من صدق معنى الغضب وهو الإضرار بمن حق عليه غضب الله سواء في الدنيا أو الآخرة. وإليك مجموعة من الآيات القرآنية التي أشارت إلى غضب الله تعالى الحالّ على من هو أهلاً لذلك بسبب عصيانه وتمرده على الله تعالى وأحكامه.

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[٢]. وكذا قوله : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣]. وقوله : ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٤]. إلى غير ذلك من الآيات الشريفة.

---

(١) تفسير الفخر الرازي: ج١ ، ص٢٦٢ .

(٢) الأعراف : ١٥٢.

(٣) النحل: ١٠٦.

(٤) الفتح : ٦.

ولابد لنا من التأكيد بأن المغضوب عليهم وإن فسّروه وحددوه من حيث المصداق في الآية الكريمة باليهود كما هو المشهور في كتب التفسير، إلا أن هذا مجرد مصداق، وإلا فإن الآية الشريفة تنطبق على كل من تلبّس بما يجعل الله تعالى غاضباً عليه، أي إن سبيل المغضوب عليهم وطريقهم وهو مفهوم كلي عام له أفراد متنوعة، نعم من أبرز أفراد هذا الكلي هم اليهود.

قال تعالى: ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأنبياء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1].

الأمر الرابع : من هم الضالون ؟

هذه فئة ثانية أيضاً قد ابتعدت عن الصراط المستقيم وذهبوا إلى سبيل آخر قادهم إلى جهنم وبئس المصير. هولاء التائهون الضالون الذين لا يهتدون طريق النجاة والسعادة. هولاء الذين ليس لحياتهم أية قيمة لأنهم يسيرون خلف السراب، يحسبون ما ليس حقاً حقاً وما ليس عدلاً عدلاً، وما أكثر هولاء في الناس في كل زمان وفي كل مكان، وما نعيشه اليوم من واقع مؤلم خير شاهد على ذلك، وكما قال القائل:

فكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرّ لهم بذاكا.

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ** الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ** أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[2].

---

(١) آل عمران :١١٢.

(٢) الكهف : ١٠٣-١٠٥ .

ومعنى الضلال هو الضياع والتيه والذهاب بعيداً عن الهدف المقصود. وهذا ينطبق تماماً على كل من يبتعد عن الحق وطريق الهداية والصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1]. والضلال عكس الهداية، والضال مقابل المهتدي، وللضلال أسباب ومصاديق.

الضلال والهدى في كتاب الله والسنّة الشريفة

لقد تعرض القرآن الكريم والسنة الشريفة على السواء إلى موضوع الضلال أو الضلالة، مع إلفات النظر إلى موجبات وأسباب ذلك من أجل التدبر والإستفادة من تجارب الأمم أو المجتمعات جماعات وأفراد، ثم الأخذ بما هو صالح وصحيح ونافع في مسيرة الإنسان وسيره نحو السعادة في الدارين.

أولا: الضلال

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[2].

بعد أن ذكرنا معنى الضلال وقلنا بأنه التيه والحيرة وعدم إصابة الهدف وعدم السير في الطريق الموجب للوصول إلى السعادة التي يبحث عنها الإنسان بفطرته، نريد أن نسلط الضوء أكثر على هذا الموضوع المهم الذي هو موضع إبتلاء أكثر الناس عبر السنين والقرون وهو شامل للكل إلا من عصم الله، وإن

---

(١) النور: ٣٩.

(٢) البقرة:١٦.

كانت درجات الضلالة تختلف بإختلاف الناس ومدى بعدهم عن سبيل الحق وطريق الهدى.

ولكن من المؤسف حقّاً هو إن بعض الناس ليس فقط يقعون في الضلال وإنما يشترون الضلال ويجعلون الهدى ثمناً لذلك الضلال، ولا شك بأن هذه الصفقة سوف تكون خاسرة. فإن هولاء مثلهم كمثل من يشتري السمّ القاتل بأعلى الأثمان وهو عامد عالم بالمصير الذي سوف يصير اليه، وهو ما أشارت له الآية : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[1]. وهناك آية أخرى توضح بشكل أكبر مدى تفاهة هولاء الذين مسخوا عقولهم وإنسيانيتهم، حيث إستبدلوا البصر بالعمى والسعادة والرحمة بالعذاب، قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[2].

ومن هنا نريد أن نقف قليلاً عند أهم الموجبات والأسباب التي تسوق الإنسان إلى الضلالة والتيه والإبتعاد عن طريق الحق والهداية والرشاد.

ثانيا: موجبات الضلال

مما لا شك فيه إن للضلال أسباباً وموجبات، كما يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((لكل ضلة علة))[3]، كما أنه لا يمكن حصر أسباب الضلال في عدد محدد من الأمور بل هي كثيرة ومتنوعة، فالبعض منها ما يكون سبباً مباشراً ورئيسياً في ضلالة الإنسان وبالتالي هلاكه كالكفر،

---

(١) البقرة: ١٦.

(٢) البقرة:١٧٥ .

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ص٤٠٢.

وبعضها ما لا يكون كذلك بل يكون جزء من العلة وعاملاً مساعداً على ضلالة الإنسان وابتعاده عن الحق والرشاد، كما في إتباع هوى النفس أو حب الدنيا وغير ذلك الكثير الكثير.

ومن هنا سوف نستعرض مجموعة مناسبة من الأسباب – رئيسية وفرعية – نرى أنها مهمة ينبغي الإلتفات إليها والتدبر فيها، حيث ذكرها القرآن الكريم وحذر منها، مضافاً لما ورد في السنة الشريفة من مواقف مختلفة زادتنا بصيرة في أهمية دراسة هذه العوامل والأسباب، والحكمة ضالة المؤمن.

١– الرضا بالكفر بدلاً من الإيمان.

قال تعالى : ﴿ ام تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1].

هذا أحد الأسباب المهمة والرئيسة للوقوع في الضلال، وهو عدم الرضوخ لدعوة الحق، كما جاء ذلك في أسباب نزول الآية الشريفة، فقد نقل عن ابن عباس انه: جاء وهب بن زيد ، ورافع بن حرملة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالا: إئت لنا بكتاب من الله مرسل إلينا نقرأه لكي نؤمن بك ، أو أجر الأنهار لنا حتى نتبعك .!

وقال بعض آخر : إن جماعة من الأعراب جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلبوا منه ما طلب بنو إسرائيل من موسى ، فقالوا : أرنا الله جهرة .

وقال آخرون : إنهم طلبوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يجعل لهم صنماً من شجرة خاصة (ذات أنواط) ليعبدوه كما قال بنو إسرائيل

---

(١) البقرة :١٠٨.

لموسى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ﴾[١] . والآية أعلاه نزلت جواباً لهؤلاء [٢].

وعلى كل حال إن بعض الناس يسقطون بالضلالة بسبب أنهم يسألون نبيهم أو إمامهم أموراً لا معنى لها، ومتى ما لم يجبهم إلى ما أرادوا نراهم يصرون على كفرهم وضلالتهم، بل إن البعض منهم كان يشترط على النبي (صلى الله عليه وآله) شروطاً إزاء قبوله ودخوله في الإسلام، حتى إذا لم يقبل منه النبي (صلى الله عليه وآله) تلك المساومة لا يدخل في الإسلام بل يصرّ على ضلالته وكفره، كما يحدثنا التأريخ عن قصة الشاعر عامر بن الطفيل العامري.

يذكر الزركلي في كتابه الأعلام في ترجمته ما نصه: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة : فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية . كنيته أبو علي . ولد ونشأ بنجد . وكان يأمر منادياً في (عكاظ)ينادي : هل من راجل فنحمله ؟ أو جائع فنطعمه ؟ أو خائف فنؤمنه ؟ . وخاض المعارك الكثيرة ، وأدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو في المدينة ، بعد فتح مكة ، يريد الغدر به ، فلم يجرؤ عليه ، فدعاه إلى الإسلام ، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة ، وأن يجعله ولي الأمر من بعده ، فرده ، فعاد حنقاً ، وسمعه أحدهم يقول : لأملأنها خيلاً جرداً ورجالاً مرداً، ولأربطن بكل نخلة فرساً ! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه[٣].

---

(١) الأعراف : ١٣٨ .

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١،ص ٣٣٣.

(٣) الاعلام : ج٣، ص٢٥٢ .

وهذا المعنى- أي مطالبة الرسول أو الإمام بما يشتهي بعض النـــاس - في جوهره ينطبق على العلماء أيضاً لأنهم ورثة الأنبياء ، حيث نرى البعض مـــن الناس يريد أن يفرض ما يريد على العالم ويطلب منه أموراً قد يكون العـــالم يرى ويشخص إن المصلحة أو الحق بخلافها ومتى ما لم يجبـــهم إلى مـــا أرادوا نراهم يطعنون به ويرمونه بكل ما لا يرضى ويتهمونه بدينه وإيمانه.

فلابد أن ننتبه جيداً، وأن لا يكون ذلك سبباً في الضـــلال والســـقوط في منـــزلق النفاق والكفر والعياذ بالله.

وهنا ملاحظة ينبغي الإشارة إليها وهي: إن البعض من الناس يتصور انه صاحب الفضل بدخوله الإسلام أو الدين ولهذا يعتقد أن له الحق في أن يطلب أو يفرض شيئاً ما ، وأن هذا ضمن صلاحياته أو حقوقه على الله !

ولكن هذا التصور خاطئ تماماً فإن الله تعالى هو صـــاحب الفضـــل أولاً وآخراً، حيث هداه للإيمان به وبدينه الحق و لم يتركه على الضلال والتيـــه في ظلمات الشرك أو الكفر وعبادة الطاغوت. ولهذا نلاحظ القرآن الكريم يحذرنا من حالة المنّ هذه التي قد تساور البعض من المسلمين حين يتصور أنه متفضل على الله أو الرسول حيث صار مسلماً.

قال تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَـــلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

---

(١) الحجرات : ١٧.

٢- الشرك بالله عز وجل.

من الأسباب الأخرى للضلال هو الشرك بالله تعالى بكل درجاته وأشكاله. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[1].

إن الجملة الأخيرة في الآية الشريفة تبرز العاقبة الخطيرة التي سوف يمنى بها من يشرك بالله تعالى، نعم إنه (الضلال البعيد) أي أنه الإنحراف عن خط الإستقامة إلى درجة كبيرة ، انه التيه المؤدي بصاحبه إلى الإنزلاق والإنحدار والظلم والخروج من حد الإنسانية إلى حد البهيمية.

فهذه الآية تعطينا هذا المؤشر الخطير ولذا نرى صدر الآية حينما يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فعدم غفران الشرك بسبب كون المشرك قد ضلّ ضلالا بعيداً، ووصل إلى نقطة اللا عودة إلى الله تعالى، فلا مجال بعد هذا لغفران ذنبه أو دخوله الجنة.

٣- الكفر بالله وبالعقائد الأساسية.

إذا كانت الآية السابقة ترتبط بالشرك بالله تعالى وتجعله موجباً للضلال البعيد، فها هنا آية أخرى تؤكد على أمر أكثر تفصيلاً وبياناً، حيث يجعل الإنسان كافراً وضالاً ضلالاً بعيداً أيضاً.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2].

---

(١) النساء : ١١٦.

(٢) النساء:١٣٦.

فليس الكفر بالله تعالى أو الشرك به سبحانه يوجبان الضلال فقط وإنما الكفر بما أنزل وما شرع أيضاً . فعلى من يدعي الإيمان أن يؤمن بخمسة أشياء وهي الأصول الأساسية للإيمان الصحيح وهي: الإيمان بالمبدأ وهو الله تعالى، والإيمان بالمعاد وهو يوم القيامة، والإيمان بالأنبياء أي النبوة، والإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها على رسله، وكذلك الإيمان بالملائكة.

وقد حذرنا القرآن الكريم من مغبة إنكار واحد من هذه الأصول الخمسة، فإن ذلك سوف يستلزم السقوط في الضلال البعيد، والبعد عن الحق، والسقوط في براثن الباطل ومستنقع الكفر.

٤- عصيان الله والرسول (صلى الله عليه وآله).

إذا كان الشرك والكفر مرتبطين بالجانب الإعتقادي، وموجبين للضلال البعيد فإن ها هنا أمراً آخر لا يقل تأثيراً عنهما في النتيجة وإن كان بدرجة أخف قليلاً. وهذا الأمر يرتبط بالجانب العملي والسلوكي وهو العصيان لله والرسول.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** ﴾[1].

فإن الأيمان الحقيقي يتطلب الرضوخ الكامل والإنصياع المطلق لما يختاره الله تعالى ورسوله. فما على المسلم إلا أن يقول آمنّا بالله ورسوله، ورضينا بما رضي الله به ورسوله، لا أن يقول غير ذلك، أو يتمرّد على إرادة الله ورسوله، فإن ذلك من موجبات الضلال المبين والواضح.

---

(١) الاحزاب: ٣٦.

ومما يؤكد هذا المعنى ما ذكر في سبب نزول هذه الآية الشريفة، حيث ذكروا سبباً لها حاصله: ان النبي (صلى الله عليه وآله) لما أراد تزويج زينب بنت جحش الأسدية – وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب – من غلامه زيد بن حارثة؛ حيث كان من وراء هذا الزواج غايات مهمة في حسابات الرسول (صلى الله عليه وآله) والسماء. هنا رفضت زينب وأنكرت تبعاً لأخيها عبد الله الذي بدوره كان رافضاً هذا الزواج، ولأكثر من سبب: منها إن زينب من بيت معروف بالشرف وو.. وزيد إنما هو عبد مملوك مضافاً إلى رغبتها بالزواج من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولما نزلت الآية الشريفة موبخة ذلك الموقف ومذكرة أن المؤمن الحقيقي ذا الإيمان الصحيح يجب عليه التسليم والإنقياد التام لله ولرسوله قولاً وفعلاً، وإلا كان ذلك موجباً للضلال وعصيان الله تعالى، حينها رضخت زينب بنت جحش، واختارت ما اختاره النبي (صلى الله عليه وآله) وقالت: رضيت يا رسول الله[1].

ومن المعلوم أن المسلم والمؤمن إنما عليه متابعة الرسول وعدم مخالفة أمره ونهيه، لأن ذلك مدعاة إلى صلاحه، وفلاحه في دنياه وآخرته، وإلا وقع فيما لا يحمد عقباه، وضل ضلالاً بعيداً.

وبعبارة أخرى : إن حال هذا الإنسان كحال المريض الذي يأمره الطبيب بالإلتزام ببرنامجٍ علاجيٍّ، وغذائيٍّ، من شأنه أن يزيل عنه المرض، ويوجب له

---

(١) راجع: تفسير مجمع البيان : ج٨ ، ص١٦١ . تفسير القرطبي:ج١٤،ص١٨٦. وقيل انها نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط التي وهبت نفسها لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فزوّجها لزيد بن حارثة فكرهت ذلك هي وأخوها وقالا : إنما أردنا رسول لله (صلى الله عليه وآله وسلم) فزوجنا غيره ، فنزلت الآية بسبب ذلك ، فأجابا إلى تزويج زيد.

الصحة، إلا أن ذلك المريض يتمرّد على الطبيب ويخالفه، والنتيجة حينئذ سوف يزداد مرضه، ويتفاقم الأمر حتى يؤدي به إلى الهلاك، ويخسر حياته.

إن الإنسان الذي لا يعبأ بأمر الله ربِّ السماوات والأرض، ولا أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، الرسول الذي هو شفيق رحيم على هذا الإنسان، هذا الإنسان سوف يخسر نفسه، ويأخذ بها إلى الضلال والتيه.

وكم رأينا وسمعنا وقرأنا في التأريخ الإنساني بشكل عام والتأريخ الإسلامي بشكل خاص أن هناك من تمرّد على إرادة الله تعالى ورسوله، و لم يختار ما اختاره الله ورسوله، فكانت النتيجة هي الضلال والخسران ، كما هو حال أبي جهل وأمية بن خلف، وحال الطغاة في عصرنا الحاضر أمثال طاغية العراق المقبور وأزلامه وغيرهم الكثير الكثير. بل إن الأمة التي لم ترتض ما ارتضاه الله ورسوله لها نراها قد ضلت وأضلت و لم تفلح في مسيرتها وبقيت تتخبط وتتعثر في دينها ودنياها، كما هو حال الأمة التي خالفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تنصيبه علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) وصيّاً وخليفة له من بعده، حيث لم تفلح بعد ذلك، وأخذت تقلّد أمرها، وتعطي زمام قيادتها إلى من ليس يعرف من الدين إلا إسمه، ومن القرآن إلا رسمه، كأمثال الحجاج الثقفي، ويزيد بن معاوية الأموي وأضرابهما.

٥- اتباع الهوى.

قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

---

(١) الجاثية: ٢٣.

إن هذه الآية الشريفة تبين لنا بشكل واضح أن من بين أسباب وموجبات الوقوع في الضلال هو إتباع الهوى . فعلم الإنسان وحده لا يكون عاصماً من الوقوع في الضلالة ما دام الهوى هو الحاكم على مملكة القلب؛ ولذا يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((وكم من عقل أسير تحت هوى أمير))[١]. وهذا ما أكده القرآن الكريم في آية أخرى بقوله : ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٢]. وهنا وفي هذا المقام يعيش الإنسان المعركة الحقيقية بين الهوى والعقل، فإذا انتصر العقل والإيمان على الهوى فقد فاز الإنسان فوزاً عظيماً، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ** فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٣]. وفي المقابل إذا انتصر الهوى فان النتيجة سوف تكون الضلال من دون شك، ومن ثمّ عذاب الله يحلّ عليهم، قال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٤].

والتأريخ البشري مملوء بصور وحوادث مختلفة ومتنوعة يمكن أن نستلهم منها الدروس والعبر، حيث يروي لنا مشاهد من غلبة الهوى، وخنوع الإنسان لشهواته وهواه ، مما حال بينه وبين الحق والرشاد.

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن

---

(١) نهج البلاغة ،خطب الامام علي : ج٤،ص٤٨.

(٢) الروم: ٢٩.

(٣) النازعات:٤٠-٤١.

(٤) ص: ٢٦ .

صعب ابن علي بن بكر بن وائل ، خرج إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد الإسلام ، فقال يمدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندى
نبيٌّ يرى ما لا ترون وذكره * أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغبّ ونائل * وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدّك لم تسمع وصاة محمد * نبيّ الإله حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * فترصد للأمر الذي كان أرصدا

فلما كان بمكة أو قريباً منها ، إعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليسلم، فقال له : يا أبا بصير ، إنه يحرم الزنا : فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أما هذه فو الله إن في النفس منها لعلالات – أي بقية، وهي كناية عن تعلق النفس بها–، ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا، ثم آتيه فأسلم . فانصرف، فمات في عامه ذلك ، و لم يعد إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[1].

ولقد صدق أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله كما يرويه سليم بن قيس الهلالي قال : خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي (صلى الله عليه وآله) ، ثم قال : ((ألا إن أخوف ما أخاف

(١) السيرة النبوية: ج١ ،ص٢٥٨.

عليكم خلتان : إتباع الهوى وطول الأمل أما إتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة))[1].

وقد أورد الشيخ قطب الدين الراوندي (قدس سره) في كتابه قصص الأنبياء قصتين قد رواهما عن الصادقين (عليهما السلام) وهما:

الأولى: عن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : خرجت امرأة بغي على شباب من بني إسرائيل فأفتنتهم ، فقال بعضهم : لو كان العابد فلاناً لو رآها أفتنته ، وسمعت مقالتهم فقالت والله : لا انصرف إلى منزلي حتى أفتنه ، فمضت نحوه في الليل فدقت عليه ، فقالت آوى عندك ، فأبى عليها ، فقالت: إن بعض شباب بني إسرائيل راودوني عن نفسي ، فإن أدخلتني وإلا لحقوني وفضحوني ، فلما سمع مقالتها فتح لها ، فلما دخلت عليه رمت بثيابها ، فلما رأى جمالها وهيأتها وقعت في نفسه ، فضرب يده عليها ثم رجعت إليه نفسه وقد كان يوقد تحت قدر له ، فأقبل حتى وضع يده على النار ، فقالت : أي شيء تصنع ؟ فقال : أحرقها لأنها عملت العمل فخرجت حتى أتت جماعة بني إسرائيل ، فقالت : الحقوا فلاناً فقد وضع يده على النار ، فأقبلوا فلحقوه وقد إحترقت يده .

الثانية: عن هارون بن خارجه ، عن أبي عبد الله (عليه السلام): ان عابدا كان في بني إسرائيل ، فأضاف امرأة من بني إسرائيل ، فهمّ بها فأقبل كلما همّ بها قرب إصبعاً من أصابعه إلى النار ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح ، فقال لها: أخرجي لبئس الضيف كنتِ لي[2].

---

(١) الكافي: ج٨ ، ص ٥٨.

(٢) قصص الأنبياء : الشيخ الراوندي، ص١٨٣.

٦- ترك القرآن والعترة الطاهرة.

لقد بيّن لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) طريق الهدى من طريق الضلالة والعمى. وذلك من خلال مواقف متعددة وأحاديث مختلفة أهمها حديث الثقلين الذي يرويه الخاص والعام ، وإليك نصه برواية النسائي في كتابه فضائل الصحابة: عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن ثم قال: كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض. ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن. ثم أخذ بيدي علي (عليه السلام) فقال: من كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فقلت لزيد سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ما كان في الفوشنجي رجل إلا رآه بعينه وسمعه بإذنه))[1].

نعم إن طريق الهداية إلى الصراط المستقيم إنما هو في التمسك بكتاب الله تعالى بإعتباره الدستور والمادة القانونية التي يأخذ بها المسلم، وكذلك من خلال التمسك بعترة النبيّ(صلى الله عليه وآله) بإعتبارهم الممثل الحقيقي والمثل الأعلى لهذا الدستور قولاً وعملاً، فالإنسان بحاجة إلى ترجمان وتجسيد لهذا الكتاب والدستور، وليس هناك أحداً يكون أهلاً وبمستوى طهارة القرآن وعصمته إلا المعصومون من عترة المصطفى(صلى الله عليه وآله) .

ومن هنا ينبغي لنا أن نقرأ كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) قراءة المتدبر الواعي حيث يقول: ((أنظروا أهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم واتبعوا أثرهم

---

(١) فضائل الصحابة: ص١٥ .

فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا))[١].

ولهذا نرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرّب المعنى أكثر وأكثر للناس من خلال تمثيل مكانته، ومكانة أهل بيته ودورهم في هداية الناس وإنقاذهم بسفينة نوح النبيّ (عليه السلام) التي نجا من ركبها وغرق من تخلف عنها كما هو معروف في قصة الطوفان في زمن نوح . وهنا يقول الرسول (صلى الله عليه وآله) لأمته كما يروي الخطيب البغدادي في تأريخه عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((إنما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق))[٢].

٧- القنوط من رحمة الله تعالى.

قال تعالى : ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾[٣]. إن الضالين هم أولئك الذين لا يعرفون الله تعالى، ويجهلون قدرته المطلقة ، الله الذي خلق السموات والأرض، وخلق كل شيء من أكبر الموجودات إلى أصغرها، ولا يمكن أن يعجز عليه شيء أبداً.

فهل يصح لمن آمن به وبرحمته الواسعة وانه أرحم الرحمين أن ييأس، أو يقنط من رحمته تعالى؟!

ومن هنا يقول النبيّ (صلى الله عليه وآله): ((الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد المقنط))[٤].

---

(١) نهج البلاغة ،خطب الامام علي : ج١٨٩،١.

(٢) تاريخ بغداد : ج١٢، ص٩٠.

(٣) الحجر : ٥٦.

(٤) الجامع الصغير: ج٢ ، ص٢٣٠.

فليس من الصحيح أن يخاف العبد من الله تعالى وعقوبته إلى درجة إنه يقنط وييأس من شموله برحمة الله ومغفرته، بل عليه أن يعيش الوسطية في ذلك، فلا يقنط ولا يتكل على رحمته . كما في الحديث الشريف الوارد عن صادق العترة (عليه السلام) حيث قال : كان أبي (عليه السلام) يقول : ((إنه ليس من عبد مؤمن إلا ((و)) في قلبه نوران : نور خيفة ونور رجاء ، لو وزن هذا لم يزد على هذا ، ولو وزن هذا لم يزد على هذا))[1].

وعنه أيضاً (عليه السلام) : ((من وصايا لقمان لإبنه : خف الله عز وجل خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك ، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك))[2].

ثم أنه ينبغي الإلتفات إلى مسألة مهمة وهي: أن القنوط من رحمة الله تعالى يعتبر كبيرة توجب النار، وبالتالي مدعاة إلى الضلال والهلاك . ومن هنا ينبغي أن يعيش العبد الأمل مع الله تعالى ومغفرته ويحسن الظنّ به عز وجل في أن يصفح عنه، ويستجيب له دعوته، ويقبل توبته.

ولنتدبر سوية هذه الوصية الرائعة لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث يوصي ولده الحسن، كما يرويها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، قائلاً : ((اعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء ، وتكفل لك بالإجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، و لم يجعل بينه وبينك من يحجبك عنه ، و لم يلجئك إلى من يشفع لك إليه و لم يمنعك إن أسأت من التوبة ، و لم يعاجلك بالنقمة ، و لم يفضحك حيث

(١) ميزان الحكمة : ج١ ، ص٨٢٦.

(٢) المصدر السابق.

تعرضت للفضيحة ، و لم يشدد عليك في قبول الإنابة ، و لم يناقشك بالجريمة ، و لم يؤيسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشرا ، وفتح لك باب المتاب ، وباب الإستعتاب . فإذا ناديته سمع نداك ، وإذا ناجيته علم نجواك ، فأفضيت إليه بحاجتك ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت إليه همومك ، واستكشفته كروبك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره ، من زيادة الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق . ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه، بما أذن لك فيه من مسألته ، فمتى شئت إستفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته ، فلا يقنطنك إبطاء إجابته ، فإن العطية على قدر النية.))[1].

إلى هنا إنتهى تفسير سورة الحمد بما سنحت فيه الفرصة والمقام والحمد لله رب العالمين.

---

(١) شرح نهج البلاغة : ج١٦ ، ص٨٧.

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم.

٢. أساس البلاغة. الزمخشري. محمود بن عمر. سنة الطبع : ١٩٦٠.الناشر : دار ومطابع الشعب – القاهرة. ملاحظات : الإتحاد القومي – دار ومطابع الشعب – القاهرة.

٣. أضواء البيان. الشنقيطي. تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.. سنة الطبع : ١٤١٥ – ١٩٩٥م.المطبعة : بيروت. – دار الفكر للطباعة والنشر.. الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر.

٤. إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان. ابن إدريس الحلي. تحقيق وتقديم السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤٢٩ – ٢٠٠٨ م .الناشر : العتبة العلوية المقدسة.

٥. آلاء الرحمن في تفسير القرآن. محمد جواد البلاغي النجفي. سنة الطبع: ١٣٥٢ – ١٩٣٣ م.المطبعة : مطبعة العرفان – صيداء.

٦. اعراب القرآن وبيانه . محيي الدين درويش. الطبعة الثانية. سنة ١٤٢٨ هـ. المطبعة : سليمان زادة. منشورات ذوي القربى. قم المقدسة.

٧. الاعلام. خير الدين الزركلي. الطبعة : الخامسة. سنة الطبع : أيار – مايو ١٩٨٠.الناشر : دار العلم للملايين – بيروت — لبنان.

٨. الامامة الالهية. الشيخ محمد السند. تحقيق : تقرير بحث الشيخ محمد السند لسيد محمد علي بحر العلوم. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م. الناشر : منشورات الإجتهاد — قم.

٩. الأمالي . الشيخ الصدوق. محمد بن علي بن الحسين . تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي. الطبعة : الأولى. سنة الطبع: ١٣٢٥ – ١٩٠٧ م. الناشر : منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

١٠. الأمالي. الشريف المرتضى. علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين . تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٣٢٥ – ١٩٠٧ م.الناشر : منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

١١. الالهيات . تقرير بحث الشيخ السبحاني للمكي .تحقيق : محاضرات الشيخ جعفر السبحاني للشيخ حسن محمد مكي العاملي ..الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م. الناشر : الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

١٢. الاتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي. تحقيق : سعيد المندوب. الطبعة : الأولى . سنة الطبع : ١٤١٦ – ١٩٩٦م.المطبعة : لبنان – دار الفكر. الناشر : دار الفكر.

١٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنـــزل. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي . الناشر : مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام . قم . سنة الطبع : ١٤٢١ الطبعة الاولى .

١٤. بحوث في علم الأصول. تقريرا لابحاث السيد محمد باقر الصدر. الشيخ حسن عبد الساتر. الطبعة الأولى/١٤٢٨هـــ.المطبعة: قم. انتشارات محبين.

١٥. البرهان في تفسير القرآن. السيد هاشم البحراني. تحقيق : قسم الدراسات الاسلامية / مؤسسة البعثة – قم

١٦. بحار الانوار. العلامة المجلسي . محمد باقر. الطبعة : الثانية المصححة .سنة الطبع : ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م. الناشر : مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان. ملاحظات : دار إحياء التراث العرب.

١٧. بصائر الدرجات. المؤلف : محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار). تحقيق : تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي. سنة الطبع : ١٤٠٤ – ١٣٦٢ ش. المطبعة : مطبعة الأحمدي – طهران. الناشر : منشورات الأعلمي — طهران.

١٨. بلاغة الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ، خطب ورسائل وكلمات / جمع وتحقيق : جعفر عباس الحائري . دار الحديث للطباعة والنشر– لبنان– بيروت ، الطبعة الأولى، سنة الطبع : ١٤٢٥ – ١٣٨٣ش.

١٩. البيان في تفسير القرآن. السيد الخوئي . ابو القاسم. الطبعة : الرابعة. سنة الطبع : ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م. الناشر : دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت — لبنان.

٢٠. تفسير مجمع البيان.الشيخ الطبرسي . علي بن الحسن . تحقيق : تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين .الطبعة : الأولى .سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م .المطبعة : الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان.

٢١. تفسير التحرير والتنوير. ابن عاشور . الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، ١٩٨٤ م.

٢٢. تفسير القرطبي.(الجامع لأحكام القرآن) محمد بن أحمد. تحقيق : تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني .الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان.

٢٣. التفسير الصافي. الفيض الكاشاني .محمد محسن. تحقيق : صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة : الثانية. سنة الطبع : رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش. المطبعة : مؤسسة الهادي - قم المقدسة. الناشر : مكتبة الصدر - طهران

٢٤. التفسير و المفسرون . المؤلف: محمد هادى معرفة ، تاريخ وفاة المؤلف: ١٤٢٨هـ الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية : مشهد ، سنة الطبع : ١٤١٨ / ١٩٩٧الطبعة : الاولى .

٢٥. تهذيب الأحكام. الشيخ الطوسي. محمد بن الحسن .تحقيق : تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة : الثالثة. سنة الطبع: ١٣٦٤ ش. المطبعة : خورشيد. الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران. ملاحظات : نهض بمشروعه : الشيخ علي الآخوندي / تمتاز هذه الطبعة عما سبقها بعناية تامة في التصحيح : الشيخ محمد الآخوندي ١٣٩٠.

٢٦. التبيان في تفسير القرآن. الشيخ الطوسي.محمد بن الحسن. تحقيق : تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : رمضان المبارك ١٤٠٩.المطبعة : مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي. الناشر : مكتب الإعلام الإسلامي .ملاحظات : دار إحياء التراث العربي.

٢٧. تفسير العياشي.محمد بن مسعود العياشي. تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي. الناشر : المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.

٢٨. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) . ابن كثير. اسماعيل بن كثير. تحقيق : تقديم : يوسف عبد الرحمن المرعشلي. سنة الطبع : ١٤١٢ – ١٩٩٢ م. الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان. ملاحظات : تمتاز هذه الطبعة بالمراجعة والتنقيح والتنضيد الجديد وقد قام بفهرسة الأحاديث النبوية مكتب التحقيق بدار المعرفة.

٢٩. تفسير سورة الحمد. محمد باقر الحكيم. الطبعة : الأولى. سنة الطبع: رجب المرجب ١٤٢٠.المطبعة : شريعت – قم .الناشر : مجمع الفكر الإسلام.

٣٠. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) محمد بن جرير الطبري. تحقيق : تقديم : الشيخ خليل الميس / ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطار. سنة الطبع : ١٤١٥ - ١٩٩٥ م الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

٣١. تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير) فخر الدين الرازي. الطبعة الثالثة.

٣٢. التمهيد في علوم القرآن. العلامة محمد هادي معرفة. الطبعة الأولى. مؤسسة التمهيد. مطبعة ستاره .سنة الطبع: ١٤٢٨ هـــ. منشورات ذوي القربى . قم المقدسة.

٣٣. التوحيد. الشيخ الصدوق. محمد بن علي بن الحسين.تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد هاشم الحسيني الطهراني. الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٤. تفسير القرآن. صدر المتألهين الشيرازي . الطبعة الثانية . ١٤١٩ هـــ. دار التعارف للمطبوعات .

٣٥. تفسير الامام العسكري. المنسوب للامام العسكري.تحقيق : مدرسة الإمام المهدي (ع). الطبعة : الأولى محققة

٣٦. .سنة الطبع : ربيع الأول ١٤٠٩.المطبعة : مهر – قم المقدسة. الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف – قم المقدسة.

٣٧. تفسير الصراط المستقيم. السيد حسين البروجردي . تحقيق : صححه وعلق عليه الشيخ غلامرضا بن علي أكبر مولانا البروجردي. سنة الطبع : ١٤١٦ – ١٩٩٥ م. المطبعة : الصدر – قم. الناشر : مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.

٣٨. تفسير القمي.علي بن ابراهيم القمي. تحقيق : تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري

٣٩. .الطبعة : الثالثة. سنة الطبع : صفر ١٤٠٤.الناشر : مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر – قم – ايران. ملاحظات : منشورات مكتبة الهدى.

٤٠. تفسير السلمي. السلمي . تحقيق : سيد عمران. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤٢١ - ٢٠٠١م.المطبعة : لبنان/ بيروت - دار الكتب العلمية. الناشر : دار الكتب العلمية.

٤١. تفسير القرآن الكريم. السيد مصطفى الخميني. تحقيق : مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : جمادي الثاني ١٤١٨ - ١٣٧٦ ش. المطبعة : مطبعة مؤسسة العروج. الناشر : مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

٤٢. التذكرة الحمدونية. ابن حمدون. محمد بن الحسن. تحقيق : تحقيق : احسان عبّاس و بكر عبّاس. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٩٩٦ م. الناشر: دار صادر للطباعة والنشر .

٤٣. التحقيق في كلمات القرآن. الشيخ حسن المصطفوي. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤١٧.الناشر : مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٤٤. تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي. تحقيق : دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤١٧ - ١٩٩٧ م. الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان.

٤٥. الجامع الصغير. جلال الدين السيوطي. الطبعة : الأولى .سنة الطبع : ١٤٠١ - ١٩٨١ م . الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت.

٤٦. الخصال. الشيخ الصدوق. تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري. سنة الطبع : ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش. الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي. الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت — لبنان.

٤٨. روضة الواعظين. الفتال النيسابوري. تحقيق : تقديم : السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان. الناشر : منشورات الشريف الرضي — قم.

٤٩. زاد المسير في علم التفسير. ابن الجوزي. تحقيق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله. الطبعة : الطبعة الأولى

٥٠. .سنة الطبع : جمادى الأولى ١٤٠٧ - كانون الثاني ١٩٨٧ م. الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥١. السنن الكبرى .احمد بن الحسين البيهقي. الناشر: دار الفكر.

٥٢. سنن الدارمي. عبد الله بن الرحمن الدارمي. سنة الطبع : ١٣٤٩.المطبعة : مطبعة الاعتدال — دمشق.

٥٣. سعد السعود. السيد ابن طاووس. سنة الطبع : ١٣٦٣.المطبعة : أمير - قم. الناشر : منشورات الرضى - قم .

٥٤. السيرة النبوية. ابن هشام الحميري. تحقيق : تحقيق وضبط وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد. سنة الطبع : ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م. المطبعة : المدني - القاهرة. الناشر : مكتبة محمد علي صبيح وأولاده — بمصر.

٥٥. شرح نهج البلاغة. ابن ابي الحديد المعتزلي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م. الناشر : دار

إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه. ملاحظات : مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان.

٥٦. الصحاح. الجوهري. تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار. الطبعة : الرابعة. سنة الطبع : ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م .الناشر : دار العلم للملايين – بيروت – لبنان. ملاحظات : الطبعة الأولى ١٣٧٦ – ١٩٥٦ م – القاهرة.

٥٧. صحيح البخاري. البخاري. سنة الطبع : ١٤٠١ – ١٩٨١ م. الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ملاحظات : طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول.

٥٨. الصحيفة السجادية (ابطحي) تحقيق : السيد محمد باقر الموحد الابطحي الإصفهاني. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ٢٥ محرم الحرام ١٤١١.المطبعة : نمونه – قم. الناشر : مؤسسة الإمام المهدي (ع) / مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر – قم – ايران.

٥٩. عيون أخبار الرضا. الشيخ الصدوق. تحقيق : تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي. سنة الطبع : ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م .المطبعة : مطابع مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان.ا لناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.

٦٠. عدة الداعي ونجاح الساعي. ابن فهد الحلي. تحقيق : تصحيح : احمد الموحدي القمي. الناشر : مكتبة وجداني – قم.

٦١. عوالي اللئالي. ابن ابي جمهور الاحسائي. تحقيق : تقديم : السيد شهاب الدين النجفي المرعشي / تحقيق : الحاج آقا مجتبى العراقي. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م. المطبعة : سيد الشهداء – قم.

٦٢. العروة الوثقى. السيد اليزدي. تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤١٧.الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٦٣. العين. الخليل الفراهيدي. تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي – الدكتور إبراهيم السامرائي. الطبعة : الثانية. سنة الطبع : ١٤٠٩ .الناشر : مؤسسة دار الهجرة – ايران – قم.

٦٤. عيون الحكم والمواعظ. علي بن محمد الليثي الواسطي. تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي

٦٥. الطبعة : الأولى. المطبعة : دار الحديث. الناشر : دار الحديث.

٦٦. فضائل الصحابة. النسائي. الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان.

٦٧. الفروق اللغوية. ابي هلال العسكري. تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : شوال المكرم ١٤١٢.الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .ملاحظات : تنظيم : الشيخ بيت الله بيات / معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من كتاب السيد نور الدين الجزائري.

٦٨. فلسفتنا. السيد محمد باقر الصدر. الطبعة : الثالثة. سنة الطبع : ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م .المطبعة : الأمير. الناشر : دار الكتاب الإسلامي. ردمك : ٩٦٤-٤٦٥-٠١٣-١.ملاحظات : فلسفتنا: دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية وخاصة الفلسفية الإسلامية والمادية الديالكتيكية (الماركسية).

٦٩. فتح القدير. الشوكاني. المطبعة: عالم الكتب. الناشر: عالم الكتب.

٧٠. القاموس المحيط. الفيروزآبادي الناشر: مؤسسة الرسالة . سنة النشر: ١٤٢٦ — ٢٠٠٥.

٧١. سنة النشر: ١٤٢٦ – ٢٠٠٥قصص الأنبياء . قطب الدين الروانديي. تحقيق : الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤١٨ – ١٣٧٦ ش. المطبعة : مؤسسة الهادي .الناشر: الهادي.

٧٢. الكافي. تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري. الطبعة : الخامسة. سنة الطبع : ١٣٦٣ ش. المطبعة : حيدري. الناشر : دار الكتب الإسلامية — طهران.

٧٣. كشف الخفاء. العجلوني. الطبعة : الثالثة. سنة الطبع : ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م. الناشر : دار الكتب العلمية — بيروت.

٧٤. كنـــز العمال. المتقي الهندي. تحقيق : ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا سنة الطبع : ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م. الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت — لبنان.

٧٥. كتاب التوابين. عبد الله بن قدامة. تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط. الناشر : مكتبة الشرق الجديد — بغداد.

٧٦. لسان العرب. ابن منظور. سنة الطبع : محرم ١٤٠٥ .الناشر : نشر أدب الحوزة.

٧٧. مستدرك الوسائل. ميرزا حسين النوري الطبرسي. تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث .الطبعة : الأولى المحققة .سنة الطبع : ١٤٠٨ –

١٩٨٧ م .المطبعة : .الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – بيروت – لبنان.

٧٨. مستدرك سفينة البحار. الشيخ علي النمازي الشاهرودي. تحقيق : تحقيق وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمازي. سنة الطبع : ١٤١٨. الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٧٩. المعالم الجديدة للأصول . السيد محمد باقر الصدر. الطبعة : الثانية. سنة الطبع : ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م. المطبعة : مطبعة النعمان – النجف الأشرف. الناشر : مكتبة النجاح – طهران.

٨٠. مجمع البحرين. فخر الدين الطريحي. الطبعة : الثانية. سنة الطبع : شهريور ماه ١٣٦٢ ش. المطبعة : چاپ خانه طراوت. الناشر : مرتضوي.

٨١. الميزان في تفسير القرآن. العلامة محمد حسين الطباطبائي. الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٨٢. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول. تحقيق : قدّم له : العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري – إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي. الطبعة : الثانية. سنة الطبع : ١٤٠٤ – ١٣٦٣ ش .المطبعة : مروي. الناشر: دار الكتب الإسلامية .

٨٣. مسند زيد. الامام زيد بن علي. .الناشر : منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان.

٨٤. مناقب آل ابي طالب. ابن شهر آشوب . تحقيق : تصحيح وشرح ومقابلة : لجنة من أساتذة النجف الأشرف

٨٥. .سنة الطبع : ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م. المطبعة : الحيدرية - النجف الأشرف. الناشر : المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف. ملاحظات : قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ مخطوطة لجنة من أساتذة النجف الأشرف.

٨٦. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة. المنسوب للامام الصادق ع. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م. الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان.

٨٧. مكارم الاخلاق. الشيخ الطبرسي. الطبعة : السادسة. سنة الطبع : ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م. الناشر : منشورات الشريف الرضي.

٨٨. مواهب الرحمان في تفسير القرآن . اسم المؤلف: الموسوي السبزواري ، السيد عبد الأعلى. الناشر: موسسة أهل البيت عليهم السلام . تاريخ الطبع:١٤٠٩ هـ . الطبعة: الثانية . مكان الطبع: بيروت .

٨٩. المزار. محمد بن جعفر المشهدي. تحقيق : جواد القيومي الاصفهاني. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : رمضان المبارك ١٤١٩.المطبعة : مؤسسة النشر الإسلامي. الناشر : نشر القيوم - قم – ايران.

٩٠. المفردات. الراغب الاصفهاني. الطبعة : الثانية. سنة الطبع : ١٤٠٤.الناشر : دفتر نشر الكتاب.

٩١. المحاسن. المؤلف : أحمد بن محمد بن خالد البرقي. تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد جلال الدين الحسيني (المحدث).سنة الطبع : ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش. الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران.

٩٢. مسند أحمد. الإمام أحمد بن حنبل. الناشر : دار صادر – بيروت – لبنان.

٩٣. ميزان الحكمة. محمد الريشهري . تحقيق : دار الحديث. الطبعة : الأولى. المطبعة : دار الحديث .الناشر : دار الحديث. ملاحظات : التنقيح الثاني : ١٤١٦.

٩٤. معجم مقاييس اللغة. احمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس). تحقيق : عبد السلام محمد هارون ..سنة الطبع : ١٤٠٤.المطبعة : مكتبة الإعلام الإسلامي. الناشر : مكتبة الإعلام الإسلامي.

٩٥. مصباح الفقاهة. السيد الخوئي . لطبعة : الأولى المحققة. المطبعة : العلمية – قم. الناشر : مكتبة الداوري – قم.

٩٦. ملاحظات : تقرير أبحاث سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (وفاة ١٤١١).

٩٧. المخصص. ابن سيده . تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي. الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان. ملاحظات : المؤلف : علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده / مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد.

٩٨. من لا يحضره الفقيه. الشيخ الصدوق. تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري. الطبعة : الثانية .الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٩٩. مصباح المتهجد. الشيخ الطوسي. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤١١ – ١٩٩١ م. الناشر : مؤسسة فقه الشيعة – بيروت – لبنان.

١٠٠. مكيال المكارم. ميرزا محمد تقي الاصفهاني. تحقيق : السيد علي عاشور. الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤٢١.الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

١٠١. معاني الاخبار. الشيخ الصدوق. تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري. سنة الطبع : ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش. الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٠٢. النهاية في غريب الحديث والأثر. محمد الدين ابن الاثير. تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي. الطبعة : الرابعة. سنة الطبع : ١٣٦٤ ش. الناشر : مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم – ايران.

١٠٣. نهج البلاغة. تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده. الطبعة : الأولى .سنة الطبع : ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش .المطبعة : النهضة – قم .الناشر : دار الذخائر - قم – ايران.

١٠٤. وسائل الشيعة.الحر العاملي. تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث. الطبعة : الثانية. سنة الطبع : ١٤١٤

١٠٥. .المطبعة : مهر - قم. الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة.

١٠٦. الوافي. الفيض الكاشاني. تحقيق : عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني « العلامة » الأصفهاني .الطبعة: الأولى. سنة الطبع : أول شوال المكرم ١٤٠٦ هـ . ق ١٩ / ٣ /

٦٥ هـ . ش. المطبعة : طباعة أفست نشاط أصفهان. الناشر : مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامة – أصفهان.

فهرس الموضوعات

مقدمة : سماحة الأستاذ العلامة السيد فاضل الجابري :..... ٥

مقدمة التحقيق :..... ٩

الفصل الأول: مباحث تمهيدية :..... ١٥

المبحث الأول: ضرورة التدبر في القرآن ومعرفة تفسيره ويشتمل على ثلاثة مطالب :..... ١٧

المطلب الأول: التدبر في القرآن في ضوء القرآن :..... ١٧

المطلب الثاني: التدبر في القرآن في ضوء السنة الشريفة:..... ١٩

المطلب الثالث: شرائط وضوابط القارئ المتدبر:..... ٢١

الأول: المستوى الروحي والنفسي :..... ٢١

الثاني: المستوى العقلي :..... ٢٣

تنبيه :..... ٢٤

المبحث الثاني: تقييم الواقع الخارجي بميزان القارئ المتدبر:..... ٢٧

المبحث الثالث: محورية القرآن بين الله تعالى والإنسان :..... ٢٩

المبحث الرابع: أهمية معرفة السياق القرآني: ٣١

أولا : العلاقة العلمية : ٣٢

تنبيه:..... ٣٣
ثانيا: العلاقة التربوية: ٣٤
المبحث الخامس: في الفرق بين التفسير والتأويل: ٣٧
أولا: التفسير لغة واصطلاحا: ٣٧
ثانيا: التأويل لغة واصطلاحا: ٣٨
نماذج من الآيات القرآنية المؤوّلة : ٤٠
ضابطة التأويل : ٤٤
المبحث السادس: في بيان عظمة سورة الحمد وفيه خمسة مطالب: ٤٧
المطلب الأول : في ذكر الروايات الدالة على عظمة ومقام سورة الحمد:... ٤٧
المطلب الثاني: في بيان ثواب تلاوة سورة الحمد: ٥٠
المطلب الثالث: في ذكر الآثار المترتبة على قراءة سورة الحمد: ٥٣
أولا: تفريج الهم ودفع البلاء: ٥٣
ثانيا: الاستشفاء بسورة الحمد: ٥٣
إطلالة علمية: ٥٤
البسملة في القرآن الكريم وتأثيرها على بلورات الماء: ٥٤
القرآن الكريم وذاكرة الماء: ٥٥
ثالثا: في كونها شفاء من السم: ٦١
رابعا: في كونها حصنا من عيون الإنس والجن: ٦١
المطلب الرابع : في ذكر أسماء سورة الحمد: ٦١
الأسماء المشهورة لسورة الفاتحة : ٦٢
أولا: فاتحة الكتاب: ٦٢

وجه تسميتها بالفاتحة: ٦٢
تحقيق في التسمية: ٦٣
ثانيا: الحمد: ٦٦
ثالثا: ام الكتاب وام القرآن: ٦٦
رابعا: السبع المثاني: ٦٧
المطلب الخامس: في بيان المحاور الرئيسة لسورة الحمد بشكل إجمالي: ٦٨
الفصل الثاني: تفسير سورة الفاتحة، وفيه مباحث: ٧١
المبحث الأول: في تفسير البسملة : ٧٣
المطلب الأول: بيان معاني المفردات في البسملة: ٧٣
المفردة الأولى : ((بسم)) : ٧٣
المفردة الثانية: ((الله)) : ٧٥
فوائد مستظرفة: ٧٨
الفائدة الأولى: ٧٨
الفائدة الثانية: ٧٩
الفائدة الثالثة: ٧٩
المفردة الثالثة والرابعة: (الرحمن ،الرحيم) وفيهما ثلاث نقاط:..... ٨١
النقطة الأولى: اسم الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة : ٨١
النقطة الثانية: في الفرق بين (الرحمن) و (الرحيم) : ٨١
النقطة الثالثة: الوجه في تقدم أسم الرحمن على الرحيم : ٨٣
المطلب الثاني: الفرق بين الرحمة التكوينية والرحمة التشريعية: ٨٤
المطلب الثالث: مفهوم الرحمة عند الله تعالى وعند الإنسان : ٨٥

المطلب الرابع: عظمة آثار البسملة: ٨٧
فوائد مستطرفة: ٨٩
المطلب الخامس: أحكام البسملة : ٩٣
المطلب السادس: تفسير البسملة في مأثورات أهل البيت (عليهم السلام): ٩٧
المبحث الثاني : تفسير قوله تعالى (الحمدُ للهِ ربِّ العالمِين) :.....١٠٣
الجهة الأولى : مفردات الآية الكريمة: ١٠٣
المفردة الأولى : ((الحمدُ)) : ١٠٣
المفردة الثانية : ((الله)) : ١٠٥
المفردة الثالثة : ((ربِّ)) : ١٠٥
المفردة الرابعة : ((العالمين)) : ١٠٧
الجهة الثانية : تفسير ((الحمد لله رب العالمين)) بمعناها العام وفيها مسالتان : ١٠٨
المسألة الأولى : انحصار الحمد بالله عز وجل :..... ١٠٨
المسألة الثانية : انحصار الربوبية بالله عز وجل :..... ١١٢
أدلة انحصار الربوبية بالله تعالى : ١١٤
أولا: التدبير لا ينفكّ عن الخلق: ١١٤
ثانياً: وحدة النظام دليل على وحدة المدبّر: ١١٥
ثالثاً: دليل التمانع القرآني: ١١٦
إضاءات: ٢٢٠
الإضاءة الأولى: ٢٢٠

الإضاءة الثانية: ١٢١
الإضاءة الثالثة: ١٢٢
الإضاءة الرابعة: سابقة ((الحمد لله)) في تاريخ البشرية: ١٢٣
الإضاءة الخامسة: في فضائل ((الحمد لله)) : ١٢٤
المبحث الثالث: تفسير قوله تعالى : (الرحمن الرحيم): ١٢٧
الأمر الأول: الوجه في تكرار هذه الجملة (الرحمن الرحيم) :..... ١٢٨
الأمر الثاني: سعة رحمة الله تعالى : ١٢٩
الأمر الثالث: موجبات الرحمة الإلهية : ١٣١
الأمر الرابع: موانع الرحمة الإلهية : ١٣٢
الأمر الخامس: التراحم والتعاطف : ١٣٤
المبحث الرابع: تفسير قوله تعالى: (مالك يوم الدين) : ١٣٧
المطلب الأول: معاني المفردات في الآية الشريفة: ١٣٧
أولا: ((مالك)) : ١٣٧
ثانيا : ((يوم)) : ١٤١
استدراك: ١٤٣
ثالثا: ((الدين)): ١٤٤
المطلب الثاني : إشارات وتنبيهات : ١٤٥
المبحث الخامس: تفسير قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين): ١٥١
الجهة الأولى: مفردات الآية الشريفة: ١٥١
أولا: مفردة : (إياك)) : ١٥١
ثانيا: مفردة : ((العبادة)) : ١٥٢

ثالثا: مفردة : ((نستعين)) : ١٥٣
الجهة الثانية: بحوث الآية الشريفة : ١٥٣
البحث الأول: اختصاص العبادة بالله تعالى : ١٥٣
البحث الثاني: اختصاص الإستعانة بالله تعالى : ١٥٧
الاتجاه الاول: القول بالمنع المطلق : ١٥٧
الاتجاه الثاني: جواز الإستعانة بغير الله مطلقا : ١٥٨
الاتجاه الثالث: القول بالتفصيل : ١٦٠
البحث الثالث: نكات واشارات : ١٦٤
الاشارة الاولى: في وجه تقديم العبادة على الإستعانة : ١٦٥
الاشارة الثانية: سبب تكرار ((إياك)) في الآية : ١٧٠
الاشارة الثالثة : الوجه في اتيـــان ضمير الجمـــع في ((نعبـــد))
و ((نستعين)) في الآية : ١٧١
الاشارة الرابعـــة : الوجه في العدول في الاسلوب من الغيبة إلى الخـــطاب في
الآية : ١٧٤
المبحث السادس: تفسير قوله تعالى: (إهدنا الصراط المستقيم): ١٧٧
الجهة الأولى: المعاني اللغوية لمفردات الآية : ١٧٧
١- اهدنا : ١٧٧
٢- الصراط : ١٧٨
٣- المستقيم : ١٧٨
الجهة الثانية: أنواع الهداية الإلهية: ١٨٠
أولا: الهداية التكوينية العامة: ١٨٠

ثانياً: الهداية التكوينية الخاصة: ١٨١
ثالثاً: الهداية التشريعية : ١٨٢
ألف: الهداية التشريعية الارائية: ١٨٣
باء: الهداية التشريعية الإيصالية: ١٨٣
الجهة الثالثة: تحديد نوع الهداية في الآية: ١٨٥
الجهة الرابعة: معنى الصراط في الآية : ١٨٦
أولاً: تحديد معنى الصراط : ١٨٧
ثانيا: أنواع السبل التي يسلكها الانسان: ١٨٧
ثالثا: اختلاف آخر بين السبيلين : ١٨٨
رابعاً: هل يمكن اجتماع الشرك والظلم مع الصراط المستقيم ؟:.....١٨٩
خامساً : من هم أصحاب الصراط المستقيم ؟ : ١٩٠
المبحث السابع: تفسير قوله تعالى : ((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) : ١٩٣
الأمر الأول : ما هي النعم التي خصها الله تعالى لأصحاب الصراط المستقيم ؟ : ١٩٤
١- النعمة لغة: ١٩٤
٢- النعمة المقصودة في الاية الشريفة : ١٩٥
الأمر الثاني : من هم أصحاب النعم والصراط المستقيم في ضوء الآية الشريفة ؟ : ١٩٦
الأمر الثالث: من هم المغضوب عليهم ؟ : ١٩٩
الأمر الرابع: من هم الضالون ؟ : ٢٠١

الضلال والهدى في كتاب الله والسنّة الشريفة: ٢٠٢
أولا: الضلال : ٢٠٢
ثانيا: موجبات الضلال : ٢٠٣
١- الرضا بالكفر بدلاً من الإيمان : ٢٠٤
٢- الشرك بالله عز وجل : ٢٠٧
٣- الكفر بالله وبالعقائد الأساسية : ٢٠٧
٤- عصيان الله والرسول (صلى الله عليه وآله) : ٢٠٨
٥- اتباع الهوى : ٢١٠
٦- ترك القرآن والعترة الطاهرة : ٢١٤
٧- القنوط من رحمة الله تعالى: ٢١٥
مصادر الكتاب: ٢١٩
فهرس المواضيع : ٢٣٥